علي زلماط

النصارى

بحث في أصول الاسم والهوية

في ضوء القرآن الكريم والكتاب المقدس

(القرآن الكريم ليس كتاب علم أو تاريخ، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد وتوجيه)

(البحث الذي لا أستفيد منه ليس ببحث)

مقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن السؤال الذي يبنى عليه هذ البحث قد طرح من قبل، منذ قرون قد خلت، من قبل علمائنا من المفسرين واللغويين والمؤرخين. وطرح أيضا من قبل علماء المسيحية ومؤرخيها ومفسريها. وما يزال يثير النقاش في عصرنا الحالي بين المسلمين والمسيحيين في خضم الجدل الديني والبحث الديني التاريخي، بفعل تطور العلوم الإنسانية، التي أضفت طابعا خاصا على هذا الموضوع. وهذا السؤال هو: من هم النصارى؟

لقد حاول المفسرون والمؤرخون ودارسو الأديان؛ من المسلمين قديما، أن يحددوا معنى «النصارى»، ويصيغوا مفهوما جامعا وشاملا لذلك اللفظ، ويحددوا ماهية هؤلاء القوم في علاقتهم بالنبي والرسول المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام، وبالحواريين تلامذته؛ ما إذا كانوا هم أولائك الحواريون أنفسهم، أم أولائك الذين آمنوا به وبرسالته من بعده، من بني إسرائيل، أم أولائك الذين اتبعوا رسالته وآمنوا به من بعده من الشعوب الأخرى. فكانت الجهود المبذولة، وما توصلوا إليه من نتائج وحقائق مرتبطة بتطور العلوم الإنسانية في عصرهم؛ من علم التاريخ وعلم الأديان وعلم التأثيل (الإثالة) أو الإيثومولوجيا[1] وكل ما له صلة بعلم الأديان، إذاك. وحتى اللغويون وصناع المعاجم

(١) يعد علم الإتيمولوجيا أحد الفنون العلمية التي تتجاذب علوم وحقول لغوية كثيرة، كفقه اللغة وعلم المصطلح واللسانيات...، لأنه يهتم بالبحث في أصول وجذور الألفاظ وصيغها. فهو بشكل أو بآخر يتحقق المعنى الأساسي وتتناول كيفية تطور الكلمات تاريخيا. من نشأتها مبينًا ما طرأ عليها من تغيرات=

والقواميس ـ وتلك وظيفتهم ـ أيضا قد أدلوا، من حيث تخصصهم المعرفي الممثل في الصناعة المعجمية، دلوهم في تحديد ماهية «النصارى» من حيث الأصل الاشتقاقي والمدلول. إذ أن كل من له صلة بالتراث الإسلامي قديما كان يطلق على هؤلاء القوم الذي يزعمون اتباع المسيح عيسى اللفظ القرآن «النصارى»، ويسمون ديانتهم التي يدينون بها «بالنصرانية» نسبة إليهم، ولم يكن أحد منهم يناديهم بالمسيحيين، أو يسمي ديانتهم بالمسيحية، كما هو متداول الآن. حيث كانوا في اصطلاحاتهم يفضلون اللفظ القرآني، الذي هو في الأصل لسان عربي مبين.

بينما أغلب مسيحي العرب، في يومنا هذا، إن لم نقل كلهم، ينفرون من هذا الاسم ولا يقبلون به ويرفضونه، بل ويعدونه شتما وسبا في حقهم من قبل المسلمين والقرآن الكريم، وفي مقابل ذلك يتشبثون بلقب «المسيحيون» واسم ديانتهم «المسيحية»، اعتقادا منهم بأن النصارى؛ يقصد بهم حسب تراثهم الديني: أولائك اليهود الذي تنصروا وآمنوا بالنبي عيسى عليه السلام، أي بمعنى الارتباط الديني والتشريعي والثقافي باليهودية، وهو نقيض ما عليه الديانة المسيحية الجديدة، منذ تولي «بولس» مهمة التبشير باسم يسوع المسيح، بل ويزعمون بأن النصارى والنصرانية سوى طائفة من الطوائف الدينية اليهودية. بينما لفظة «المسيحيون» تعني كل من آمن بالمسيح إلها، وقد ذكرت هذه اللفظة لأول مرة في سفر أعمال الرسل، في النص التالي: (١١: ٢٦) «وفي أنطاكية تسمى التلاميذ أول مرة بالمسيحيين»، حيث فترة انتقال الدعوة على يد بولس إلى العالم الوثني خارج فضاء بني

= صرفية أو صوتية أو دلالية، لا في اللغة الواحدة فحسب، بل في الفصيلة أو الأسرة اللغوية التي تنتمي إليها. أنظر: الأصول الابستيمولوجية والأنطولوجية لمصطلحي التأثيل والترسيس في اللغة، سليم عواريب، مجلة مقاليد العدد ٠٩، ديسمبر ٢٠١٥، ص: ١٢٤. الاشتقاق اللغوي وجوانب متعلقة به لدى اللغويين والنحويين العرب القدامى، مراد موسى، المجلة (مجمع اللغة العربية حيفا)، عدد ٤، ٢٠١٣، ص: ١٣٨. أصول كلمة (علم إيثمولوجيا)، عصام الحسيني، موقع الموسوعة العربية:
https: //www. arab-ency. com

إسرائيل. ومن هذا الاسم الجديد اشتق اسم ديانتهم «المسيحية».

وكما قام المسيحيون، بدراسة أصول تسميتهم (المسيحيون) واسم ديانتهم، واسم المسيح الذي اشتق منه اسمهم، دراسة إيثومولوجية أو تأثيلية لأصل الاسم، ودلالته، في ضوء الكتاب المقدس واللغة العبرية واللغات السامية الأخرى القريبة منها. كذلك نفس الشيء قاموا به، مع كلمة الناصريين (الصيغة العربية الثانية للنصارى)، والناصري لقب المسيح، وعلاقته بنبوءة إنجيل متى، وبطائفة الناذريين، الطائفة اليهودية التي عرفت بنذر حياتها لعبادة الله، وكذلك بطائفة الأبيونيين، حيث حاولوا البحث عن الأصل الاشتقاقي للاسم ودلالته. وذهبوا في سبيل ذلك مذاهب وآراء شتى، كل رأي يستند إلى دليل يعضده، في ضوء الكتاب المقدس واللغة العبرية والآرامية؛ للنظر ما إذا كان هذا الاسم له أصل في الكتاب المقدس، أو أنه قد اشتق من اسم مدينة الناصرة، أو أنه اسم يعود لطائفة كانت قبل المسيح عليه السلام، أثرت في شخصية وأفكار السيد المسيح عليه السلام. إلى درجة أنك تكاد لا تجد كتابا مسيحيا يتناول قضية الناصريين (النصارى) ولا يثير هذه الإشكالات، بل ويحاول أن يجد مخرجا معرفيا مقبولا لقضية أصول هذا الاسم. وهذا لا يدل على أن هذا الموضوع وليد العصور المتأخرة، بل هو قضية تعود لعصور قد خلت من الزمن.

والباحثون المسلمون المتخصصون في مجال الأديان، وبالأخص الديانة المسيحية، يثيرون بدورهم النقاش حول هذا الموضوع (أصول اسم النصارى)، ويحاولون البحث عن الأصل الذي اشتق منه هذا الاسم، علما أن اللفظ في الأصل لفظ قرآني، واللفظ في إطار لغة القرآن لا يعرف الترادف، ولا يدل إلا على معنى واحد ضمن السياق الذي ينتمي إليه من الآية. إلا أن غالبية هذه الدراسات لا تغوص في البحث أكثر مما أنتجه الأولون، لكن وبالرغم ذلك، توجد ثمة دراسات عربية ـ على قلتها ـ حاولت أن تخرج عن المألوف من الدراسات والأبحاث، حيث اقتحمت هذا المجال من المنظور اللغوي

في شقه الإيثمولوجي أو التأثيلي، وتوصلت إلى نتائج؛ أقل ما يمكن أن يقال في حقها أنها أدخلت حقل الأديان إلى فضاء يتداخل فيه علم التأثيل (الإيثومولوجيا) بالتاريخ في دراسة قضية واحدة. والذي يعد موضوع أصول أسماء الأديان أحدها.

وهذا البحث، شيئا ما، ينتمي إلى هذا النوع من الدراسات، بالرغم من صغر حجمه، والذي من خلاله سنحاول أن نجيب عن إشكالية أصول تسمية النصارى، في ضوء القرآن الكريم والكتاب المقدس المسيحي. علما أن التعبير القرآني الدال على الذين اتبعوا المسيح عليه السلام، الذي هو النصارى، قد ورد في سياقين اعتقادين مختلفين، سياق التوحيد والإيمان وسياق الوثنية والشرك والكفر، وهي قضية في نظرنا مدعاة للبحث، مع العلم أن لغة القرآن لا تعرف الترادف.

وعملنا في هذا البحث سيتأسس على دراسة هذه الآراء، وفق ما استجد من البحوث التاريخية والأركيولويجة، ووفق الدراسات التأثيلية، التي ستطغى على جانب من هذا البحث، في إطار الرؤية القرآنية للنصارى، وللحواريين وللنبي عيسى عليه السلام. بمعنى آخر أن القرآن في هذا البحث سيكون لنا موجها ومرشدا ليس إلا.

الدراسات السابقة:

وأثناء البحث وجمع المادة العلمية لهذا البحث، صادفت دراستين مهمتين لهما أثر بالغ علي في علاقتي بهذا الموضوع، سواء من حيث المادة العلمية أو من حيث الطريقة والتصور، وهذين الدراستين هما:

أولا: مقال «أصول تسمية النصرانية في ضوء القرآن الكريم والكتاب المقدس»، للباحث والأكاديمي الأردني عامر الحافي، والذي خلص فيه إلى صحة تسمية المسيحية على ما خاطبهم القرآن باسم النصارى، لأن هذه التسمية أصبحت علما على كل من ينتسب إلى أتباع المسيح عليه السلام في وقتنا الحاضر. وأن محاولة اختزال تسمية النصرانية ببعض الفرق المبتدعة في المسيحية لدى بعض الكتاب المسيحيين المعاصرين هي نوع

من الهروب والرفض المسوغ علميا للشعور السلبي من قبل بعض المسيحيين والناتج من فرض تسمية النصرانية من قبل بعض المسلمين وعدم قبولهم التسمية بالمسيحية. ودعا أيضا في نهاية المقال إلى إعادة النظر في الفهم الشائع الذي يذهب إليه الكثير من المسلمين، بأن أصل تسمية النصرانية مشتق من فعل (نصر) في اللغة العربية على ضوء فهمهم لقوله تعالى: ﴿ فَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٥١].

ثانيا: كتاب يسوع الناصري، للباحث المصري جمال الدين شرقاوي، والذي خص فيه فصلا يحمل العنوان التالي «ناصري أم نصراني»، حيث خلص فيه بعد دراسة الموضوع دراسة لغوية تأثيلية (إيتومولوجية) ومقارنة لكلمة «الناصري» في أصولها اليونانية، إلى أن هذه الكلمة في أصلها ينبغي أن تترجم إلى «نصراني»، وليس «الناصري» بمعنى الانتساب إلى مدينة الناصرة.

أهداف البحث:

نسعى في هذا البحث إلى:

* الوقوف على أصول اسم النصارى بالدرجة الأولى، ثم تحديد هوية هؤلاء الذين أطلق عليهم القرآن هذا الاسم، من حيث الاعتقاد والانتماء العرقي، ومن حيث علاقتهم بالنبي عيسي المسيح عليه السلام من جهة، وعلاقتهم بالمسيحيين من جهة أخرى.

* لفت انتباه الباحثين إلى ضرورة فتح موضوعات جديدة في مجال مقارنة الأديان، تجمع بين حقيقة الوحي القرآني، والمنهج العلمي الرصين.

تقسيم البحث:

ينقسم هذا البحث إلى سبعة مباحث أساسية، بالإضافة إلى مبحث تمهيدي:

مبحث تمهيدي: [بعض تعريفات «للنصارى»]، تتضمن تعريفات المسيحيين والمسلمين للنصارى.

المبحث الأول: [النصارى في القرآن الكريم]، من حيث علاقتهم بالمسيح عليه السلام وبالحواريين، واعتقادهم في المسيح.

المبحث الثاني: [النصارى عند المفسرين]، أي كيف عرف مفسرو القرآن النصارى.

المبحث الثالث: [النصارى عند اللغويين والمعجميين]، من حيث الأصل الذي اشتق منه هذا الاسم.

المبحث الرابع: [النصارى في أسفار العهد الجديد]، بلفت انتباه القارئ إلى بعض الترجمات العربية التي تتضمن هذا الاسم علما لطائفة كان بولس ينتمي إليها.

المبحث الخامس: [النصارى من الناصرة]، وذلك بمناقشة الرأي الذي يذهب إلى أن النصارى اسم اشتق من اسم مدينة الناصرة، لكونهم وعيسى بن مريم ينتمون إليها، أو نزلوا بها.

المبحث السادس: [الأصل الاشتقاقي للنصارى]، وهو بحث إيثومولجي تأثيلي اشتقاقي لأصل كلمة «النصارى»، بين العبرية والعربية والكلدانية واليونانية.

المبحث السابع: [هوية النصارى من خلال القرآن الكريم]، من حيث الانتماء الاجتماعي والتطور العقدي، والأسباب التي جعلتهم ينتقلون من التوحيد إلى الوثنية.

ثم خاتمة البحث، والتي هي عبارة عن أهم خلاصات ونتائج هذا العمل

سكورة امداز (شمال المغرب)

١١ رمضان ١٤٤١هـ/ ٠٤ ماي ٢٠٢٠

❁ ❁ ❁

مبحث تمهيدي

بعض تعريفات لـ «النصارى»

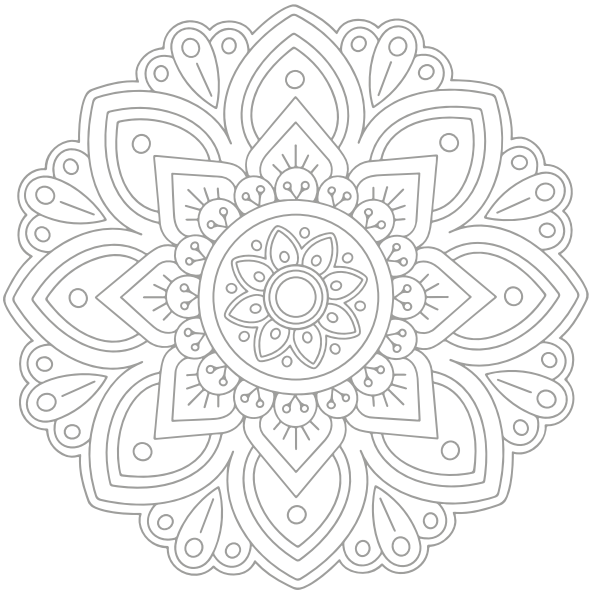

مبحث تمهيدي

بعض تعريفات لـ «النصارى»

أولا: النصارى عند المسيحيين:

إذا كان المسيحيون (بهذا اللفظ) ينظرون إلى أنفسهم على أنهم أولئك الوثنيون الذين آمنوا بالمسيح عليه السلام، كونه إلها، ويقيمون الإنجيل من غير التوراة أو العهد القديم، ويقيمون العماد من دون الطهور أو الختان[١]. فإن النصارى من وجهة نظرهم هم: «الذين آمنوا بالسيد المسيح من اليهود مع احتفاظهم على تطبيق شريعة الناموس. ويقيمون أحكام التوراة والإنجيل، وهم أتباع كنيسة الختان التي كان يرأسها تلاميذ المسيح عيسى عليه السلام»[٢].

ويقول القس صمويل مشرقي: «هم الفئة التي تبعته ـ أي المسيح ـ وهي لا تزال في نطاق اليهودية حتى إننا نراها تؤدي شعائر عبادتها في الهيكل في أوقاتها المعينة... مع أنهم كانوا يقيمون فيما بينهم عبادات خاصة يومية في بيوتهم... ومع ذلك كانوا في البداية مجرد فرقة يهودية تميزت بانتسابها ليسوع الناصري، فهم الطائفة التي آمنت به من بني إسرائيل،

---

(١) أنظر: أصول تسمية النصرانية في ضوء القرآن الكريم والكتاب المقدس، عمر الحافي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد السادس، العدد ١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص: ١١٥.

(٢) أنظر: قضايا جديدة في المسيحية والإسلام، جمال الدين الشرقاوي، مركز التنوير الإسلامي، د. ط، د. ت، ج١، ص: ١١٦.

وبقيت على يهوديتها وتبعيتها لموسى، وتمسكت بالختان وغيرتها على الشريعة»[١][٢].

ثانيا: النصارى عند المسلمين:

يورد محمد على البار تعريفا للناصريين (يقصد بها النصارى) حيث يقول: «وهم اليهود الذين تنصروا وكان أغلبهم من منطقة الجليل (شمال فلسطين) ومن مدينة الناصرة، النسبة لها، ولذا يقال يسوع الناصري، والناصريون أو النصارى نسبة إلى مدينة النصارى في الجليل، وقد انضموا إلى الحواريين والرسل، وكانوا شديدين في إنكارهم على بولس، وكادوا أن يقتلوه»[٣].

ويقول الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف: «النصارى هم الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام، وكتابهم الإنجيل. ويطلق عليهم في القرآن «النصارى» وأهل الكتاب وأهل الإنجيل، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين، نسبة إلى المسيح عليه السلام، ويسمون ديانتهم بالمسيحية. وأول ما دعي النصارى بالمسيحيين في أنطاكية حوالي سنة ٤٢م، ويرى البعض أن ذلك أول الأمر كان من باب الشتم. ولم ترد هذه التسمية في القرآن ولا في السنة، والتسمية لا توافق واقعهم لتحريفهم دين المسيح عليه السلام، وتبديلهم التوحيد بالشرك، فالأولى أن يطلق عليهم نصارى، أو أهل الكتاب»[٤].

ويقول حسن الباش: «... والواقع أن اسم نصارى يأتي متوافقا مع آيات القرآن

---

(١) من هو يسوع المسيح، ص: ٣٤ ـ ٣٥، نقلا عن المرجع السابق.

(٢) سفر أعمال الرسل ٥: ٢٠ «اذهبوا إلى الهيكل وبشروا الشعب بتعاليم الحياة الجديدة». ١٥: ٢١ «فلشريعة موسى من قديم الزمان معلمون في كل مدينة يقرؤونها كل سبت في الجامع».

(٣) دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، محمد علي البار، دار القلم، دمشق سورية، د. ط، تاريخ كتابة المقدمة ٣١ أكتوبر، ٢٠٠٥، ص: ٤٨٥.

(٤) دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية، د سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، الرياض السعودية، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص: ١٢١.

الكريم التي تحدثت عن أنصار الله وأنصار النبي عيسى عليه السلام... وأعتقد أن القرآن الذي نزل على قلب محمد ﷺ بعد حوالي ستة قرون من رفع المسيح عليه السلام وصف انصار المسيح ودينه بالنصارى... أما النصارى فكما وصفهم القرآن الكريم فهم على صنفين: منهم من آمن بالوحدانية وكان على دين الحق، ومنهم من قد أشرك بقوله إن المسيح هو الله أو ابن الله، فذلك فلم يكن هجوم القرآن على كافة النصارى بل على الذين انحرفوا على دين عيسى»[١].

❁ ❁ ❁

(١) العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل، حسن الباش، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق سورية، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ج١، ص: ٢٨٨.

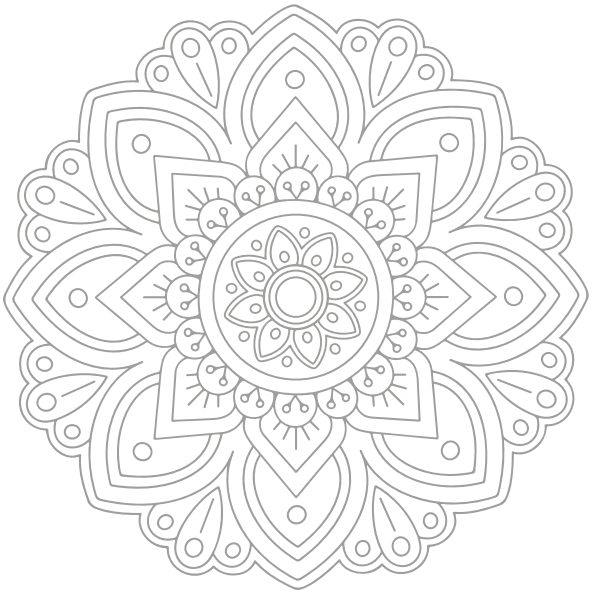

المبحث الأول

«النصارى» في القرآن الكريم

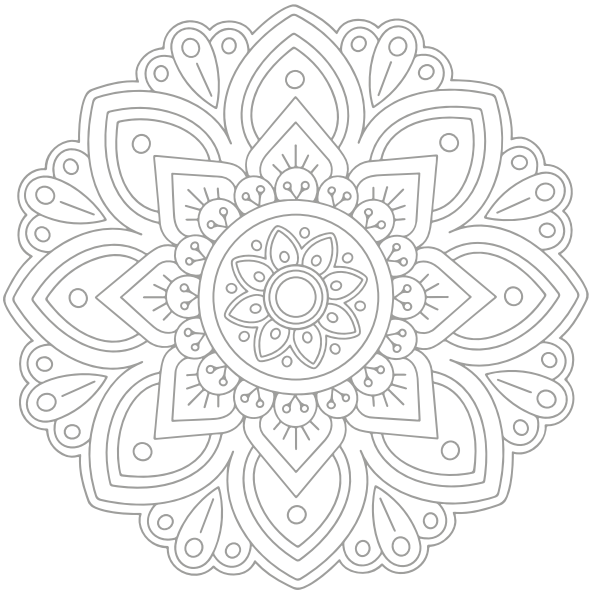

المبحث الأول
«النصارى» في القرآن الكريم

قد يتساءل المرء عن لم القرآن الكريم في هذا البحث، وإذا كان ولا بد، فكيف ذلك؟

وهو تساؤل مشروع بالنسبة لأي قارئ ودارس غير المسلم، بل له كامل الحق في طرحه كما له الحق في الحصول على الجواب. كما يجب علينا الإجابة عن تساؤله، إما توضيحا أو تفسيرا أو غير ذلك... ونقول في هذا السبيل: أننا لجأنا واعتمدنا القرآن الكريم (الكتاب المقدس بالنسبة للمسلمين) مصدرا رئيسا لهذا البحث لسببين اثنين؛ وهما:

السبب الأول: يرجع إلى كونه (القرآن الكريم) كتابا إلهيا يقينا، منزلا من الله تعالى على خاتم أنبيائه؛ محمد ﷺ، فهو بذاك آخر كتاب سماوي، محفوظ بحفظ الله ورعايته من أي شكل من أشكال التحريف والتبديل إلى يوم الدين[١]، بإجماع الأمة، قديما وحديثا، الذي لا ينكره أي عاقل منصف، وليس كتابا مؤلفا من نصوص التوراة والأناجيل؛ كما يدعي ويزعم العديد من المستشرقين غير المنصفين، ومن صار على دربهم من المبشرين ومنهجَهم. واعتقادنا هذا لا يعارض الموضوعية العلمية التي ينبغي على الباحث الالتزام بها في دراسة أي موضوع كهذا الموضوع الذي نحن بصدد دراسته.

السبب الثاني: يكمن في أن القرآن الكريم أول كتاب يؤرخ وينتقد وينقض الأديان

---

(١) ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

والآراء الدينية السابقة عن شريعة الإسلام، ويؤكد بشكل تقريري تعرض هذه الأديان لعمليتي التحريف والتبديل على مر مراحل متعاقبة حتى أضحت على ما هي عليه اليوم، وذلك على يد من وكلت إليه حفظ نصوصها؛ دراسة وتداولا وتعليما[١].. فالنص الديني لفترة ما قبل شريعة الإسلام لم يحفظ كما أنزل، كما قرر ذلك القرآن الكريم، وإنما زيد فيه لأسباب وأغراض شتى، كما نقص منه للأسباب والأغراض ذاتها.

ولهذا كان اعتمادنا على القرآن الكريم مصدرا ومرجعا أساسيا في هذا البحث من حيث كونه مصدرا أصيلا من المصادر التي أرخت وانتقدت الأديان السابقة والغابرة، بشكل مباشر أو غير مباشر. وذلك لأن المؤرخ والدارس للأديان والمذاهب والآراء الدينية بشكل عام لا ينبغي له أن يهمل أي مصدر كيفما كان نوعه، في دراساته، فكيف إذا بالقرآن الكريم. وهو ما سقطت فيه الدراسات الغربية للأديان، حينما أهملت القرآن وأزاحته من المصادر المعتمدة، لاعتبارات غير موضوعية وغير علمية، ومواقف أيديولوجية تجاه الدين بشكل عام. فكانت النتيجة هي التباين الجلي والواضح بين نتائج دراساتهم وحقائق الوحي القرآني الثابتة، في قضايا عدة.

ونحن في هذا المبحث، بعض هذا التوضيح الضروري، سنقوم باستقراء الآيات التي تحدثت عن «النصارى» و«الحواريين» و«الأتباع»، إما إخبارا أو تأريخا أو توصيفا أو نقدا، وتحليلها بعد ذلك.

أولا: النصارى:

إن مفردة «النصارى» قد وردت في القرآن الكريم (١٤) أربعة عشر مرة. بالإضافة إلى آيات أخرى يفهم من سياقها أنها تقصد أمة «النصارى». وهي على الترتيب الآتي:

---

(١) ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٤].

أولا: سورة البقرة:

١ ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَٰرَىٰ وَالصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [الآية: ٦١].

٢ ـ ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الآية: ١١٠].

٣ ـ ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ [الآية: ١١٢].

٤ ـ ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ [الآية: ١١٩].

٥ ـ ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الآية: ١٣٤].

٦ ـ ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الآية: ١٣٩].

ثانيا: سورة المائدة:

١ ـ ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [الآية: ١٥].

٢ ـ ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَالنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الآية: ٢٠].

٣ ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَالنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الآية: ٥٣].

٤ ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّٰبُونَ وَالنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الآية: ٧١].

٥ ـ ﴿ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الآية: ٨٤].

ثالثا: سورة التوبة:

١ ـ ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الآية: ٣٠].

رابعا: سورة الحج:

١ ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّٰبِـُٔونَ وَالنَّصَٰرَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الآية: ١٧].

وبالنسبة للآيات التي أشارت إلى أمة النصارى، من غير تصريح، إلى ما تميزت به عقائديا، فقد وردت كلها في سورة «المائدة»، وتعدادها ثلاث آيات، كما الآتي:

١ ـ ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [الآية: ١٩].

٢ ـ ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ

وَمَأْوِيهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [الآية: ٧٤].

٣ ـ ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الآية:٧٥].

انطلاقا من هذه الآيات القرآنية الكريمة، نرى أن «النصارى» ـ حسب فهمنا ـ هم قوم ابتداء ثم أمة انتهاء. وهم من حيث الاعتقاد مؤمنون موحدين، ومؤلهين للنبي عيسى عليه السلام، حينما قالوا بأن المسيح هو الله، وتثليثيين أي معتقدين بعقيدة التثليث، أي أن الله في اعتقادهم ثالث ثلاثة. ومن حيث العبادة فهم أهل التعبد والتنسك؛ إذ عرفوا بكثرة العبادة، حتى ابتدعوا عبادة الرهبانة وهي إمساك الذات عن ملذات الحياة المباحة، ولكن ما رعوها حق رعايتها، ويظهر من هذا أنهم ما كانوا يهتمون بالعلم كقدر اهتمامهم بالعبادة. وقد بلغ الأمر بهم ومن شدة إعجابهم بذواتهم المتعبدة إلى ادعائهم بأنهم أحباء الله وأبناؤه، وبأن لهم الحظوة والمكانة عند الله، وبأنهم هم من لهم الحق في الفوز والدخول إلى الجنة دون غيرهم. ومن حيث موقفهم من الغير، والغير هنا هم اليهود والمسلمون؛ فإنهم يتهمون اليهود بتحريف رسالة النبي موسى عليه السلام وشريعته وكتابه التوراة، ولا يرون بالنبوة للنبي محمد ﷺ، ولا يقرون بشريعته ولا برسالته، وأن السبيل للمسلمين من النجاة هو اتباعهم.. ومع كل هذا ما يزال منهم صنف ما إذا سمعوا بالحق أذعنوا إليه، والتزموا طريقه.. فهذه هي الصورة الحقيقية الواضحة والجلية التي يقدمها القرآن الكريم عن «النصارى».

والناظر أيضا في الآيات الكريمة التي تخبر وتصف النصارى من حيث الاعتقاد، فإنه سيكتشف أنها تخبر عن صنفين من النصارى؛ جزء يخبر القرآن الكريم فيه بأن «النصارى» مؤمنون موحدون، والآخر بأنهم مشركون بل كافرون وخارجون عن التوحيد. وهي كالآتي:

أولا: النصارى: «مؤمنون»[١]، في آيتين اثنين:

• ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَٰرَىٰ وَالصَّٰبِـُٔونَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦١].

• ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَالنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٧١].

ثانيا: النصارى: «مشركون وكفار»: في أربع آيات:

• ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرُۢ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

• ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [المائدة: ١٩].

• ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٞ ﴾ [المائدة: ٧٤].

• ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٥] أيضا.

ويمكن تقسيم الجزء الثاني إلى القائلين ببنوة المسيح لله تعالى (الآية ٣٠ من سورة التوبة)، والقائلين بألوهية السيد المسيح عليه السلام (الآياتين: ١٩ و٧٤ من سورة المائدة)،

---

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط ٣، ١٤٢٠هـ، ج٣، ص: ٥٣٦.

ثم القائلين بالتثليث (الآية ٧٥ من سورة المائدة).

وقد توهم بعض الدارسين أن ثمة تعارضا واضطرابا في التأريخ والإخبار والتوصيف القرآني «للنصارى»، حيث تارة يقر بإيمانهم، وتارة أخرى يؤكد كفرهم وشركهم وخروجهم من ملة التوحيد[١]. وهو ما ينبئ عن جهلهم بتاريخ الأديان، وبتاريخ تحول وتغير أي مجتمع من حيث التدين. ذلك أن أي مجتمع أو أمة بعث إليها نبي أو رسول، تظل على التوحيد لفترة من الزمن، وبعد ذلك ولأسباب عدة، تنحرف تدريجيا عن المنبع الأصلي في الدين والتدين، إلى أن تصبح متدينة بالشرك والكفر أو الوثنية، بلبوس الدين الأصلي. وإننا نقول بهذا لأن الأصل هو التوحيد، وليس الوثنية أو الشرك، كما يدعي ويزعم الكثير من الدارسين الغربيين، ومن تأثر بهم من المسلمين؛ لأن التوحيد أولا وقبل كل شيء فطرة فطر عليها الإنسان، والوثنية أو الشرك زيغان عن طريق التوحيد[٢]. ولا يكون هذا الانحراف عن التوحيد إلا تدريجيا، تكون مظاهره ابتداء مع الانحراف التشريعي والتعبدي، إما غلوا أو تفريطا، ومع مرور الزمن، وبالتأثير من المحيط الوثني، وقابلية الشرك والوثنية، إما حقيقة أو تأويلا، وكذلك الاضطهاد السياسي والديني، يجد الناس أنفسهم قد تحولوا إلى الوثنية. وهذا لا يحدث بين عشية وضحاها، بل يتطلب لذلك أجيال متعاقبة. والنصارى ليسوا بمعزل عن هذه السنة.

---

(١) أنظر: القرآن والمسيحية في الميزان، أحمد عمران، الدار الإسلامية، بيروت ـ لبنان، د. ط، سنة كتابة المقدمة ١٤١٥هـ، ص: ١٦.

(٢) ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٢٩]. وقال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء». الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٢، ص: ١٠٠، رقم الحديث: ١٣٨٥.

ويؤكد هذا التوجه، سياق الأحداث وفق الترتيب القرآني للآيات والسور، الذي هو ترتيب توقيفي بإجماع الأمة، لا اجتهاد فيه، أي أنه ترتيب قائم على توجيه الوحي الإلهي، وليس اجتهاد من النبي ﷺ أو من الصحابة رضوان الله عنهم[١]. فالآيات التي تخبر وتؤرخ للنصارى من حيث الاعتقاد، جاءت وفق ترتيب متسلسل واضح الدلالة، نفهم على منوالها أنها توضح التطور التاريخي الذي عرفته عقيدة هؤلاء القوم. فبداية هم مؤمنون موحدون ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَٰرَىٰ وَالصَّٰبِـِٔينَ مَنَ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحاً فَلَهُمُۥٓ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦١]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّٰبِـُٔونَ وَالنَّصَٰرَىٰ مَنَ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٧١]، فانحرافهم عن التوحيد إلى القول ببنوة المسيح لله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠]، فتأليههم وقولهم بألوهية المسيح ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٩] و﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٤]، ثم

(١) يقول الإمام ابن حزم الظاهري في هذا الصدد: «ولو أن الناس رتبوا سورة لما تعدوا أحد وجوه ثلاثة: إما أن يرتبوها على الأول فالأول نزولا، أو الأطول فما دونه، أو الأقصر فما فوقه، فإذ ليس ذلك كذلك فقد صح أنه أمر رسول الله ﷺ الذي لا يُعَارَضُ عن الله تعالى، لا يجوز غير ذلك أصلا». الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد علي، المكتبة التوفيقية للطباعة، القاهرة ـ مصر، د. ط، ٢٠٠٣م، ج٣، ص: ١٦٤.

قولهم واعتقادهم بعقيدة التثليث أي أن الله ثالث ثلاثة ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٥].. بل هو كذلك، إذ ليس ثمة تفسير آخر لهذا الترتيب. وإن القرآن الكريم ليؤكد على أن ادعاء النصارى واعتقادهم ببنوة المسيح لله، لم يكن إلا بعد تأثيرهم بعقائد الوثنيين الذين كفروا من قبل، وأخذوا بمقالتهم هاته، بل ساروا على منوالهم في قولهم بعقيدة ألوهية المسيح وبعقيدة التثليث.

والخط الزمني التالي يلخص هذا التطور التاريخي لعقيدة النصارى.

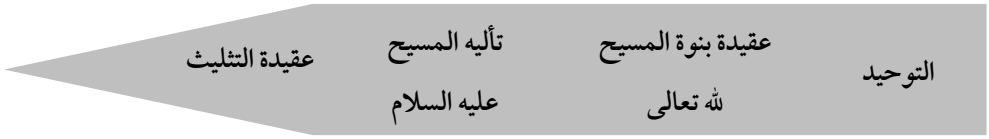

وخلاصة هذا الخط الزمني تفضي إلى طرح التساؤلات التالية: أليس النصارى هم الحواريون؟ ومن يكون هؤلاء الحواريون أصلا؟ وما علاقتهم بالنصارى؟

ثانيا: الحواريون:

الحواريون هم في اللغة: «صفوة الأنبياء الذين خلصوا لهم»[1]. وهم في القرآن الكريم تلامذة الرسول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام. وليسوا نصارى، وهذه حقيقة قرآنية. إذ يورد القرآن الكريم، في مختلف الآيات التي يخبر فيها عن الحواريين، توصيفا لهم يختلف عن توصيفه للنصارى، من حيث الاعتقاد ومن حيث السبق الزمني والتقدم التاريخي، حيث راع القرآن الكريم هذا التقدم وعبر عنه بألفاظ تدل على ذلك،

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، الناشر: دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ج٤، ص: ٢٢٠.

إذ حسب ظاهر القرآن الكريم، الحواريون أسبق وأقدم تاريخيا من النصارى، لأنهم تلامذة النبي عيسى المسيح عليه السلام، وهم صفوته من بني إسرائيل، الذين آمنوا به نبيا ورسولا وجاهدوا معه في سبيل الدعوة في حياته، وبعد غيابه حينما رفع إلى السماء واصلوا نشر دعوته. وهم من حيث العرق من بني إسرائيل لأن النبي عيسى بعث رسولا إلى بني إسرائيل خاصة لإتمام التوراة، وشريعة موسى عليه السلام.

فجاء ذكرهم في القرآن الكريم على أنهم «الجماعة التي آمنت وصدقت حين نصرت عيسى عليه السلام، ووقفت إلى جانبه في أحلك الظروف، وأصعب الأوقات، حين قامت قوى الشر ضد المسيح، فكان هؤلاء هم القوة الدفاعية لمواصلة التبليغ والإرشاد بما أوتوا من إيمان وقوة»(١). كما هو واضح في الآيات الآتية:

أولا: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۞ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥١ ـ ٥٢].

ثانيا: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١٣].

ثالثا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

الحواريون؛ حسب هذه الآيات مسلمون. فقد طالبوا ـ كما يخبر الله تعالى عنهم ـ

---

(١) أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، الدكتور داود علي الفاضيلي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط ـ المملكة المغربية، تاريخ الإيداع القانوني ١٩٨٦م، ص: ٨٤.

من عيسى عليه السلام أن يشهد لهم كما شهدوا لأنفسهم بأنهم مسلمون، وأنهم على دين الإسلام، دين الأنبياء والرسل، أي بمعنى أنهم مستسلمون لله ولأوامره، وأنهم على ما عليه النبي عيسى عليه السلام، ولم يطلبوا منه أن يشهد لهم بأنهم على دين النصرانية أو اليهودية، وهذا إقرار من القرآن على أن الديانة النصرانية (أو التدين النصراني) لم تكن قد ظهرت بعد على مسرح التاريخ، وأن اليهودية ليست تلك الديانة التي بعث بها الرسول موسى عليه السلام، ولا ظهرت في زمنهم بعد، فهم ليسوا نصارى وليسوا يهودا كما يدعي ويزعم الكثير.

ولا يقف إخبار القرآن عند هذا الحد، بل أخبر وأكد أن هذه الطائفة التي آمنت بالنبي عيسى السلام (الحواريون) قد أيدها الله تعالى بالنصر والظفر على الطائفة الكافرة من بني إسرائيل، وأصبحوا من بعدهم ظاهرين، أي التمكين بعد البناء، والقيام بشؤون العباد وفق أوامر الله[1]. وهذا التمكين والنصر لم يحدث إلا بعد مواجهة بين الطائفتين؛ بمكر وخبث وخداع الطائفة الكافرة التي سعت إلى قتل النبي عيسى عليه السلام والقضاء على المؤمنين، وبجهاد الطائفة المؤمنة لها، التي تمكنت من ذلك بالقوة والاستعداد الجيد. بخلاف ما ترويه أسفار العهد الجديد، التي تزعم أن تلامذة المسيح والمؤمنين عاشوا مضطهدين مشردين في البلاد متخفين مستترين، خوفا من الاضطهاد اليهودي والروماني، وهم في هذه الحالة لمدة تصل ثلاثمائة سنة، إلى أن اعتنق القيصر الروماني «قسطنطين» المسيحية وجعلها الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية.

ثالثا: الأتباع:

وفي ظل هذا التأريخ القرآني للنصارى والحواريين، يخبر عن طائفة يعتقد أصحابها وأتباعها أنهم من أتباع نبي الله عيسى عليه السلام، في الآية التالية: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم

(١) ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٣٩].

بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٦].

هؤلاء الأتباع ليسوا حواريين بظاهر النص، لأنهم قد ابتدعوا في الدين عبادة وفرضوها على أنفسهم تقربا إلى الله، وهذه العبادة هي الرهبنة أو الرهبانية، وهي الإعراض عن اللذائذ والانصراف نحو العبادة طمعا في رضوان الله. بمعنى أن هؤلاء عباد وزهاد في الدنيا، بالإضافة إلى صفات الرأفة والرحمة التي اتصفوا بها. يقول طاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية: «والمعنى: ابتدعوا لأنفسهم رهبانية ما شرعناها لهم، ولكنهم ابتغوا بها رضوان الله، فقبلها الله منهم. لأن سياق حكاية ذلك عنهم يقتضي الثناء عليهم في أحوالهم»[١]. فهؤلاء رهبان عباد، قد اختاروا هذا الطريق بالرغم عنهم، حيث أملاها عليهم واقع الاضطهاد[٢]، الذي أرغمهم على الانقطاع عن المدن والجماعات[٣].

إلا أن الذين أتوا من بعدهم واستنوا سنتهم هاته، قد حادوا فيها عن جادة الصواب، بغلوهم؛ حيث ظنوا أن ما كانوا عليه الأسلاف من الرهبنة بالامتناع عن الطعام والشراب والملبس والنكاح هو الأصل، وليس عارضا اقتضاه الانقطاع عن المدن والجماعات[٤]، وبفسقهم؛ حيث أنهم ما رعوا هذه العبادة حق رعايتها، وأنهم بدلوا الكتاب أي الإنجيل الذي بعث به النبي عيسى عليه السلام، واستخفوا بشرائع الله[٥]، كما يخبر الله تعالى

---

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسر الكتاب المجيد»، محمد الطاهر ابن عاشور، الناشر: دار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج٢٧، ص: ٤٢٣.

(٢) أنظر: أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، داود لي الفاضيلي، ص: ١٣٩.

(٣) أنظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج٢٧، ص: ٤٢٥.

(٤) أنظر: المرجع السابق.

(٥) أنظر: المرجع السابق.

عنهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾ [التوبة: ٣٤].

والخلاصة التي يمكن أن نخلص إليها في نهاية هذا المبحث، هي أن الحواريين ليسوا في حقيقة الأمر نصارى، ولا يمكن أن نصفهم بكونهم نصارى، وأن هؤلاء الأتباع ليسوا كذلك حواريين، بينما قد يكونون نصارى أو حلقة وصل بين الحواريين والنصارى، على منوال الترتيب التاريخي لتطور العقائد والجماعات الدينية. ويبقى السؤال مطروحا، من هم هؤلاء النصارى؟ أو بعبارة أخرى ما أصل تسميتهم بهذا الاسم؟

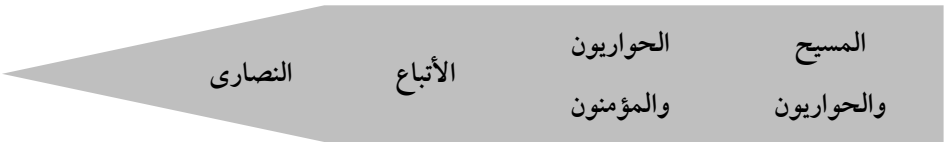

❁ ❁ ❁

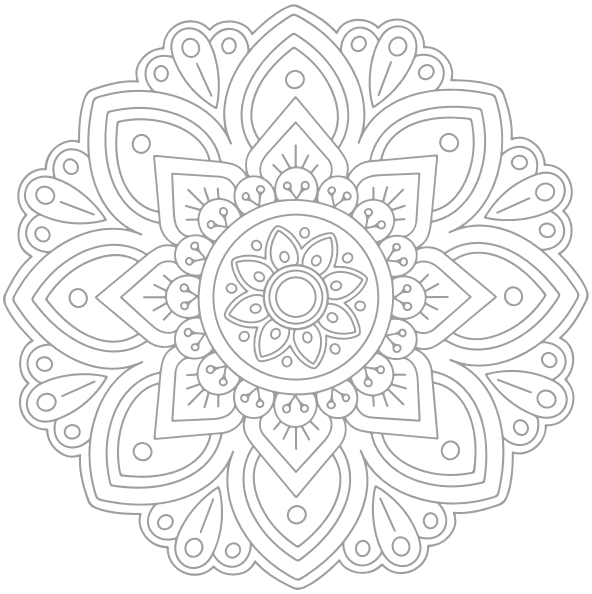

المبحث الثاني

«النصارى» عند مفسري القرآن

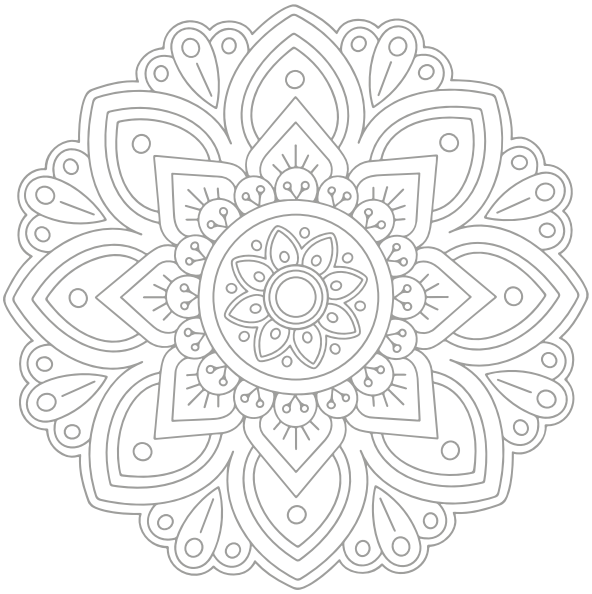

المبحث الثاني
«النصارى» عند مفسري القرآن

إن مفسري القرآن في حقيقة الأمر، هم علماء أفذاذ اهتموا بتفسير كتاب الله تعالى القرآن الكريم، بعد أن تأهلوا لذلك تمكنا، من حيث اللسان العربي وعلومه، ومن حيث علوم الحديث والفقه ثم المقاصد.. بالإضافة إلى انفتاحهم على علوم وفنون معرفية أخرى، تندرج تحت العلوم المساعدة؛ كعلم التاريخ، والجغرافيا، والحساب والعلوم البحتة... فمن له إلمام بتاريخ الأمم وحضارتها وثقافتها، نجده يفصل في تفسير الآيات، ذات طابع تأريخي، كتلك التي تخبر عن الأمم الغابرة وأديانها وعقائدها ومواقفها من أنبيائها. ونفس الشيء نجده مع من له إلمام بالجغرافيا، أو الحساب أو العلوم البحتة... وهكذا مع باقي المعارف العلمية.

والمعلوم عند أهل الاختصاص، أنه لا يحق لأحد أن يتعرض لتفسير القرآن الكريم، للاستنباط الأحكام الشرعية، إلا بعد أن تتوفر فيه شروطا، ويلتزم بقواعد التفسير، التي تعد أساسية في هذا الباب، وهي: أن يبدأ أولا بتفسير القرآن بالقرآن. ثانيا أن يفسر القرآن بالسنة النبوية؛ لأنها شارحة له. ثالثا أن يرجع في تفسير الآيات إلى أقوال الصحابة إن لم يرد في السنة ما يفسرها، لكونهم شاهدوا الوحي وتربوا في كنفه. رابعا أن يرجع إلى اللسان العربي في فهم معنى الآية. خامسا أن يفسر الآيات القرآنية مقاصديا.

وإلا فهو مفتوح، من غير استنباط الأحكام الشرعية، لأهل الاختصاص من المعارف العلمية الأخرى، التي يجد أهلها في القرآن إشارات دالة عليها وإليها، انطلاقا من كون

القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وتوجيه. لكن؛ هذا لا يجعلهم يستغنون عن تلكم القواعد الأساسية السابقة، وبالأخص الأربعة الأولى منها، فهي المعين الضروري للوصول إلى المعنى الدقيق أو الشامل للآية أو القضية القرآنية المراد تفسيرها.

وبما أن موضوع هذا البحث (مفردة النصارى) له ارتباط باللغة والتاريخ الديني؛ فإن المفسيرين، قديما وحديثا، قد ذهبوا في تفسير مفردة «النصارى» وتوضيح معانيها وبيان دلالتها الحقيقية، مذاهب وآراء شتى، تعكس غنى وتنوع الأدلة المعتمدة والمستندة عليها، من قبلهم، وإن كانت هذه الآراء يغلب عليها صفة «الظن»، بله «القطع باليقين»، إلا نادرا جدا، فقط عند بعضهم الذين حاولوا التحقيق ليكتفوا في الأخير بالإشارة في الإجابة ليس إلا.. ولعل مرد ذلك بالأساس يرجع ـ وهذا تأويل مني ـ إلى كون هذا الموضوع مسألة لا تترتب عليها أي حكم شرعي، فهي بذاك تعد أمرا ثانويا مقابل آيات الأحكام والعقائد..

ولذا فعملنا هنا في هذا المبحث سيقتصر على إيراد آراء بعض المفسرين المشهورين في التاريخ الإسلامي حتى يومنا هذا، مع ضرورة احترام الترتيب التاريخي، وفق سنة وفاة المفسر، وفائدة ذلك، يكمن في أن وضوح لفظ ما، يكون بعد دراسته دراسة تاريخيا تسلسليا تعاقبيا، حيث، في غالب الأحيان، أن اللاحق يكتشف ما غفل عنه السابق ويستدرك عنه، وهكذا دواليك.. وهي عملية لا يستغني عنها الباحث عن تطور دلالة مفهوم لفظ ما.

والآن نقدم آراء المفسرين المشهورين أولا بأول:

أولا: يقول **ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)**: «والنصارى جمع واحدهم نصران، كما واحد السكارى سكران، وواحد النشاوى نشوان. وكذلك جمع كل نعت كان واحده فعلان فإن جمعه فعالى... وسمع منهم في الأنثى «نصرانة»، قال الشاعر: فكلتاها خرت وأسجدت رأسها.. كما سجدت نصرانة لم تحنف. وسمع في جمعهم «أنصار»، بمعنى النصارى: قال الشاعر: لما رأيت نبطا أنصارا... شمرت عن ركبتي الإزار. كنت لهم من

النصارى جارا. وهذه الأبيات تدل على أنهم سموا «نصارى» لنصرة بعضهم بعا، وقد قيل إنهم سموا «نصارى» من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها «ناصرة»[١].

ثانيا: يقول **الإمام الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)**: «النصارى وهو جمع نصران. يقال: رجل نصران، وامرأة نصرانة... والياء في نصراني للمبالغة، كالتي في أحمري، سموا لأنهم نصروا المسيح»[٢].

ثالثا: يقول **الإمام الرازي (ت ٦٠٦هـ)**: «... وأما النصارى ففي اشتقاق هذا الاسم وجوه، أحدها أن القرية التي كان ينزلها عيسى عليه السلام تسمى ناصرة فنسبوا إليها وهو قول ابن عباس وقتادة وابن جريج. ثانيها: لتناصرهم فيما بينهم أي لنصرة بعضهم بعضا. وثالثها: لأن عيسى عليه السلام قال للحواريين من أنصاري إلى الله»[٣].

رابعا: يقول **الإمام ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)**: «... وسموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم، وقد يقال لهم أنصار أيضا، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٥١]، وقيل إنما سمو بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها ناصرة، قاله قتادة وجريج وروي عن ابن عباس أيضا»[٤].

خامسا: يقول **الإمام الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)**: «... والنصارى: قال سبويه: مفرده نصران ونصرانة كندمان وندمانة. وأنشد شاهدا على ذلك قول الشاعر: تراه إذا دار العشا متحنفا... ويضحي لديه وهو نصران شامس. وقال الآخر: فكلتاهما خرت وأسجدت

---

(١) الجامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج٢، ص: ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، ج١، ص: ١٤٦.

(٣) مفاتيح الغيب، الإمام الرازي، ج٣، ص: ٥٣٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة لنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج١، ص: ٢٨٥.

رأسها.... كما أسجدت نصرانة لم تحنف. وقال: ولكن لا يستعمل إلا بياء النسب، فيقال رجل نصراني وامرأة نصرانية، وقال الخليل: واحد النصارى نصري»[١].

سادسا: يقول **محمد القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)**: «وقوله تعالى: وَالنَّصارى جمع نصران، كندامى جمع ندمان، يقال: رجل نصران، وامرأة نصرانة، والياء في نصرانيّ للمبالغة، كما في أحمريّ، سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح عليه السلام ـ كذا في الكشاف ـ أو هو جمع نصرانيّ، مغيّر عن ناصريّ، نسبة إلى ناصرة ـ القرية المعروفة ـ وقد نسب إليها المسيح عليه السلام، لأنه ربّي بها. وجاء في الإنجيل «يسوع الناصريّ»»[٢].

سابعا: يقول **محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)**: «وقوله: (والذين هادوا والنصارى والصابئين) براد به هذه الفرق من الناس التي عرفت بهذه الأسماء أو الألقاب من الذين اتبعوا الأنبياء السابقين، وأطلق على بعضهم لفظ يهود والذين هادوا، وعلى بعضهم لفظ النصارى، وعلى بعضهم لفظ الصابئين»[٣].

ثامنا: يقول **محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)**: «وأما النصارى فهو اسم جمع نصرى (فتح فسكون) أو ناصري نسبة إلى الناصرة وهي قرية نشأت منها مريم أم المسيح عليهما السلام وقد خرجت مريم من الناصرة قاصدة بيت المقدس فولدت المسيح في بيت لحم ولذلك كان بنو إسرائيل يدعونه يشوع الناصري أو النصري فهذا وجه تسمية

---

(١) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ج١، ص: ١١٠ ـ ١١١.

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٨هـ، ج١، ص: ٣١٨.

(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الناشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٩٩٠م، ج١، ص: ٢٧٨.

أتباعه بالنصارى»[١].

فهذه الآراء هي اجتهادات تفسيرية للآية القرآنية الكريمة الواحدة والستين (٦١) من سورة البقرة، والتي أوردت «النصارى» ضمن الذين آمنوا، فكان لزاما على مفسري القرآن أن يوضحوا المعنى؛ جواب لما وما المقصود من إيراد «النصارى»، وهم المعروفون بتأليه المسيح، في سياق الإيمان وضمن زمرة الذين آمنوا. وإننا نرى أن هذه الآراء تشعبت إلى وجهات نظر متعددة، يغلب على طابعها الاستدلالي صيغة التمريض، بنحو (قيل) و(رُوِيَ)، مما يدل على أن المفسر مجرد ناقل وراو لآراء آخرين من العلماء والمفسرين وحتى اللغويين. وإنه من النادر أن نجد مفسرا يفصح برأي في هذه المسألة ترجيحا أو تجزيما.

وعليه فحاصل الآراء التفسيرية التي تتضمنها كتب التفسير منذ القدم في هذه المسألة، لا تخرج عن النقط التالية:

أولا: سموا هؤلاء القوم بـ «النصارى» لأنهم نصروا النبي عيسى بن مريم عليهما السلام، وهم المقصودين من سؤال النبي عيسى عليه السلام، حين قال كما قص القرآن الكريم: ﴿ مَنَ اَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ ﴾. فالنصارى حسب هذا الرأي هم حواريو عيسى عليه السلام، أي تلامذته، وتاريخهم يعود إلى هذه الفترة (فترة البعثة)، وليس بعده كما رأينا آنفا في المبحث السابق.

ثانيا: لتناصرهم فيما بينهم، وصاحب هذا الرأي كأنه تنبه، للفجوة التاريخية، بين فترة الحواريين الذين ناصروا النبي عيسى عليه السلام، وفترة هؤلاء الذين جاؤوا من بعده، واتبعوه، لكنهم حادوا عن الطريق والنهج السليم الذي جاء وبعث به المسيح ابن مريم عليها السلام.

---

(١) التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور، ج١، ص: ٥٣٣.

رابعا: نسبة إلى مدينة الناصرة أو نصرونة أو نصرانة، وهي المدينة التي ينتمي إليها النبي عيسى عليه السلام، أو المدينة التي نزلوا بها، حسبما ترويه الروايات المسيحية. فإني أرى صاحب هذا الرأي لا يعد إلا ناقلا للرواية المسيحية.

خامسا: صفة أو اسم علم كان العرب قديما يطلقونه على قوم كانوا بينهم ولا يدينون بالحنيفية، الملة الإبراهيمية التي يعتنقها العرب قبل بعثة النبي محمد ﷺ، ويشتركون معهم في بعض صفات العبادات أهمها السجود. وهذا الرأي استنبطته من استدلال سيبويه الشعري.

المبحث الثالث

«النصارى» عند اللغويين والمعجميين

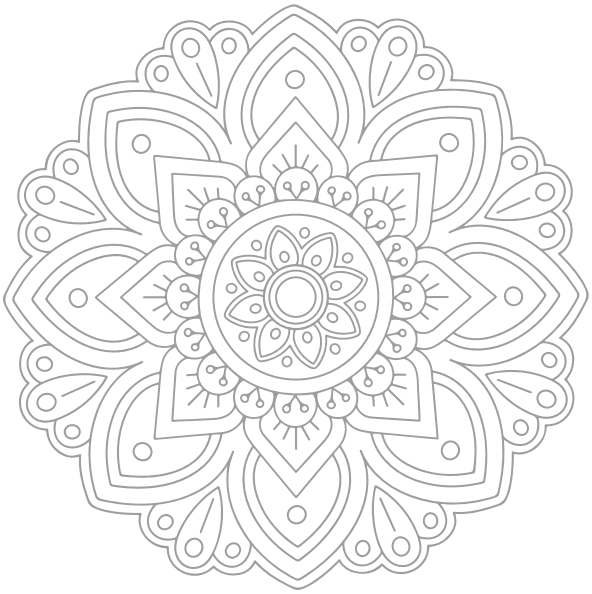

المبحث الثالث

«النصارى» عند اللغويين والمعجميين

تتجلى ضرورة هذا المبحث في استقصاء معان الكلمة في المعاجم والقواميس العربية القديمة. إذ أن أهل هذا الاختصاص قد استقصوا معان الكلمة الواحدة باستنباطها من الشواهد الشعرية والنثرية، بالإضافة إلى آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة.

ولم يقف صناع المعاجم والقواميس اللغوية عند هذا الحد، بل تجاوزوه إلى ببيان معان اللفظ المستعملة منها والمهملة كذلك، أو المشهور بالمتداول منها، والمهجور الذي يعد من استخدامات غابر الأزمان من الجاهلية، في اللسان العربي القديم، من مختلف القبائل العربية العاربة والمستعربة. وإن اختلفت مناهجهم في بناء هذه المعاجم والقواميس؛ بين من يرى أن المعاجم ينبغي أن تبنى على اللفظ، والآخر يرى الأفضل هو المعنى، وبين من يبني معجمه أو قاموسه على الأصول والجذور لا غير، ومن يضيف النحت إلى الأصول والجذور، وبين من يميل نحو الاختصار دون إيراد الشواهد ومن يذهب إلى التوسع بالإفاضة في الشرح وكثرة الشواهد، وتنويعها بين القرآن والحديث وأقوال العرب من نظم ونثر[١].

---

(١) للاطلاع بشكل مستفيض يرجى الرجوع إلى هذا الكتاب القيم: المعاجم العربية قديما وحديثا، للدكتور زين كامل الخويسكى، دار المعرفية الجامعية، للطبع والنشر والتوزيع، د. ط، ٢٠٠٧م.

وعلاقة بموضوع البحث، وبما أن لفظ «النصارى» لفظ قرآني، قد ورد في القرآن الكريم علما واسما لقوم يزعمون أنهم من أتباع النبي عيسى بن مريم عليهما السلام، فإن أصحاب المعاجم والقواميس قد أولوا الاهتمام به، شرحا وتوضيحا، للأصل الذي اشتق منه، والمعاني التي قد تكون هي الأقرب إلى الصواب والمعنى الحقيقي من بين مختلف الآراء ووجهات نظر حول معنى «النصارى». وكان ذلك بإيراد الشواهد المختلفة والمعضدة للمعنى المختار؛ من القرآن الكريم والحديث النبوي، ومن أشعار العرب ونثرهم. وإننا نجد من هؤلاء من لم يطمئن للدلالات والاشتقاقات اللغوية للفظ «النصارى»، فينأى عنها إلى إعادة دراسة هذا اللفظ، من حيث أصل الحروف فيها والمزيد منها، ومن حيث الصياغة الأصلية والصياغة المتداولة، كإجراء بحثي استقصائي وكنوع من بحث واستقصاء للمعنى والأصل الاشتقاقي لهذا اللفظ، خاصة وأن القرآن يقدم النصارى مؤمنين ابتداء وكفار ومشركين انتهاء، وفق الترتيب القرآني.

ونحن في هذا المبحث، سنقدم المعاني والدلالات والاشتقاقات اللغوية لهذا «العلم» وآراء هؤلاء اللغويين واختياراتهم الاستدلالية، حسب الترتيب التاريخي للمعاجم والقواميس، أولا بأول، والأقدم فالأحدث.. واختيارنا لهذه المصادر بعينها دون غيرها، راجع لشهرتها ومكانتها في تاريخنا الإسلامي، واعتمادها قديما وحديثا.. ثم إن الإحاطة بجميع المعاجم بالاقتباس من المحال؛ لأنه سيجعل البحث يخرج عن حده بالإطناب والحشو.

أولا: **جمهرة اللغة**: «النصارى ينسبون إلى ناصرة، وهو موضع، وهذا قول الأصمعي، وخالفة قوم فقالوا ينسبون إلى نصرانٌ، اسم»[(١)].

ثانيا: **تهذيب اللغة**: «واحد النصارى في أحد لقولين: **نصران** كما ترى، مثل ندمان

---

(١) جمهرة اللغة، أبو بكر بن محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٧م، ج٢، ٧٤٤.

وندامى، والأنثى نصرانة. وأنشد فكلتاهما خرت وأسجد رأسها... كما سجدت نصرانة لم تحنف. فنصرانة تأنيث نصران. ويجوز أن يكون واحد النصارى: **نصْرِيًّا** مثل بعير مهري وإبل مهارى. وقال الليث: زعموا أنهم نسبوا إلى قرية بالشام اسمها نصرونة. والتنصُّر: الدخول في النصرانية»[١].

ثالثا: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: «النصارى: جمع نصران ونصرانة، مثل الندامى جمع ندمان وندمانة. قال الشاعر: فكلتاهما خرت وأسجد رأسها... كما أسجدت نصرانة لم تحنف. ولكن يستعمل نصران إلا بياء النسب، لأنهم قالوا: رجل نصراني وامرأة نصرانية. ونصَّرَه جعله نصرانيا، وفي الحديث فأبواه يهودانه أو ينصرانه»[٢].

رابعا: **مختار الصحاح**: «نصران: بوزن نجران قرية بالشام تنسب إليها (النصارى) ويقال اسمها (ناصرة). والنصارى جمع (نصران) و(نصرانة) كالندامى جمع ندمان وندمانة»[٣].

خامسا: **لسان العرب**: «**نصَرَى** ونصْرَى وناصرة ونصورية قرية بالشام، والنصارى المنسوبون إليها. قال ابن سيده: هذا قول أهل اللغة، قال: **وهو ضعيف** إلا أن نادر النسب يسعه إليها، قال: وأما سيبوية فقال: أما النصارى فيذهب الخليل إلى أنه جمع **نصْرِيٌّ** ونصران. كما قالوا ندمان وندامى، ولكنهم حذفوا إحدى اليائين (...) وأبدلوا مكانها

---

(١) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ج١٢، ص: ١١٣.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٢، ص: ٨٢٩.

(٣) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ـ الدار النموذجية، بيروت. صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج١، ص: ٣١١.

ألفا كما قالوا: صحارى، قال (سبيويه): وأما **الذي نوجهه** نحن عليه فإنه جاء على نصران لأنه قد تكلم به فكأنك جمعت **نصراً** كما جمعت مسمعا والأشعت، وقلت نصارى كما قلت ندامى فهذا أقيس، والأول مذهب. وإنما كما أقيس لأنا لم نسمعهم قالوا **نصْرِيٌّ**. قال أبو إسحاق: واحد النصارى، في أحد القولين **نصران** كما ترى مثل ندمان وندامى. والأنثى نصرانة مثل ندمانة. وأنشد لأبي الأخرز الحماني يصف ناقتين طأطأتا رؤوسهما من الإعياء فشبه رأس الناقة من طأطأتها برأس **النصرانة** إذا طأطاته في **صلاتها**: فكلتاهما خرت وأسجد رأسها... كما أسجدت نصرانة لم تحنف. قال **ابن بَرِّيٍّ**: قوله: إن النصارى جمع نصران ونصرانة إنما يريد بذلك الأصل دون الاستعمال، وإنما المستعمل في الكلام نصراني ونصرانية بياءي النسب (...) ويجوز أن يكون واحد النصارى **نصريًّا** مثل بعير مهريًّا، وإبل مهارى. وقال الليث: زعموا أنهم نسبوا إلى قرية بالشام اسمها نصرونة (....). **والأنصر**: الأقلف، وهو من ذلك لأن **النصارى** قُلْفٌ، وفي الحديث لا يؤُمنَّكُم أنْصَرُ، أي أقْلَفُ. كذا فسِّر في الحديث. و**نَصَّرُ** صنمٌ»[1].

سادسا: **القاموس المحيط**: «ناصرة بلدة بطبرية، ونصرونة بلدة بالشام، ويقال لها ناصرة ونصورية أيضا، ينسب إليها النصارى، أو جمع نصران (...) والنصرانية والنصرانة واحدة النصارى، والنصرانية أيضا دينهم»[2].

سابعا: **تاج العروس من جواهر القاموس**: «ناصرة بلدة بطبرية، على ثلاثة عشر ميلا منها، قاله الصاغاني. قيل: وإليها نسبت النصارى هكذا زعموا، قاله الليث. (...) وقال ابن دُرَيْد: النصارى منسوبون إلى نصرانة، وهي موضع، هذا قول الأصمعي. وقيل

---

(١) لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، ج٥، ص: ٢١١ ـ ٢١٢.

(٢) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص: ٤٨٣.

هي بالشام، ويقال لها ناصرة (...) ويقال ينسب إليها النصارى. قال ابن سيده: **هذا قول أهل اللغة. قال: وهو ضعيف**»[١].

ثامنا: أما بالنسبة للمعاجم العربية المعاصرة فقد اقتصرنا على معجم واحد وهو «**معجم اللغة العربية المعاصرة**»، الذي جاء فيه تعريف لكلمة «نصراني»: «جمع نصارى، مؤنث نصرانية، جمع مؤنث نصرانيات، ونصارى: من يتبع دين المسيح «رجل نصراني ـ «وقالت النصارى المسيح ابن الله» «وما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما»[٢].

يقدم أصحاب هذه المعاجم والقواميس مادة «النصارى» من حيث بنية الإفراد والجمع، ومن حيث الانتساب، ومن حيث الاشتقاق. وكلهم يتفقون على أن جذر «النصارى» اللغوي يعود إلى (ن ـ ص ـ ر)، ولذا أدرجوا حديثهم عن معاني واشتقاقات هذه الكلمة تحت هذا الجذر. ولأن هذه الكلمة ذات مدلول ديني، ولها ارتباط وثيق بالديانة المسيحية أو النصرانية وبالنبي عيسى عليه السلام، ولأنها أولا وقبل كل شيء كلمة قرآنية، فالبحث والتحري في أصلها الاشتقاقي لأمر ضروري ومهم، ولذا نرى كثرة الآراء اللغوية حولها، تتأرجح بين التصويب والتضعيف، وبين القطع بالجزم اليقين والاحتمال بالظن.

والذي أجزم به بناء على ما قدمته هذه القواميس عينها هو أنني وجدت ابن منظور الإفريقي صاحب «لسان العرب» هو الوحيد من بين الآخرين الذي قدم مادة لغوية مهمة

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د ط، د ت، ج١٤، ص: ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر وفريق بحث، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج٣، ٢٢٢١.

ومتنوعة وبشواهد كثيرة؛ توضح الأصل الاشتقاقي لكلمة «النصارى»، مما جعله ينفرد بمادة لغوية غنية عن غيرها، وهذا يجعلنا ـ وكأي باحث في هذا المجال الخصب ـ نميل إلى ترجيحاته، لكونها تمثل الأصل الصحيح لهذه الكلمة، بالإضافة إلى ما سنعرفه من اشتقاقات أخرى مستقبلا في اللغات القريبة من اللسان العربي.

وبناء على ما سبق؛ فـ «النصارى» عند هؤلاء اللغويين من مادة (ن ـ ص ـ ر). وهي جمع نصران أو نصرانة، وهذا هو الأصل إلا أن المستعمل هو نصراني أو نصرانية بياء النسب. كما يمكن أن يكون واحد النصارى «نصري». هذا من حيث الإفراد والجمع، أما من حيث النسبة، فإنهم يرون أن النصارى ينسبون إلى نصَرى أو نصْرى أو نصورية أو نصرانة أو ناصرة اسم لقرية بالشام، وهي القرية التي ينسب إليها النبي عيسى عليه السلام، أو البلدة التي نزل بها أتباعه عليه الصلاة والسلام، وهذه النسبة ضعفها ابن سيده، كما نقل عنه ذلك صاحب تاج العروس من جواهر القاموس. أو أنهم (النصارى) نسبة إلى صنم اسمه «نصَّرُ». أما صاحب لسان العرب فإنه يذهب في رأي إلى أن «النصارى» مشتق من «الأنصر» أي الأقلف وهو الشخص غير المختون، وذلك لأن النصارى قلف، واستدل على ذلك بهذا الحديث النبوي الشريف: «لا يؤمنكم أنصر».. هذا فضلا عن الرأي الذي يرون أصحابه أن «النصارى» بمعنى أنصار.

المبحث الرابع

«النصارى» أو «الناصريين» في العهد الجديد

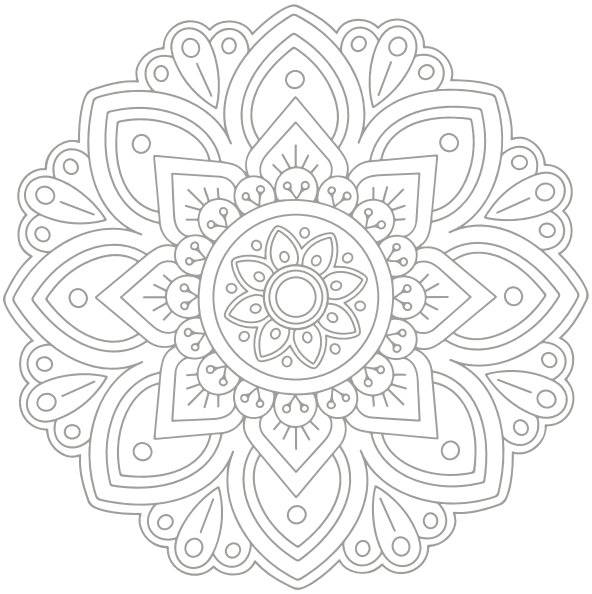

المبحث الرابع

«النصارى» أو «الناصريين» في العهد الجديد

لا يقل هذا المبحث أهمية عن مبحث «النصارى في القرآن الكريم». لأن أسفار العهد الجديد أو ما يطلق عليه مجازا الإنجيل أو الإيفونجيل، بالإضافة إلى سفر أعمال الرسل، ورسائل بولس ورؤيا يوحنا اللاهوتي، كتب دينية، لها مكانة مقدسة عند عامة المسيحيين، شرقا وغربا. فالنص الديني الذي تحويه هذه الكتب، نص حسب اعتقادهم قد كتب بإلهام من الروح القدس؛ ملك جبرائيل عندنا نحن المسلمون، حين ألهم الكتاب لخط هذه البشارة، على فترات زمنية مختلفة. ولذا فأهمية هذا الموضوع مبني على أهمية هذا النص بالنسبة إلى الإنسان المسيحي النصراني، على اختلاف مذاهبهم؛ كاثوليكيا كان أو أرثوذوكسيا أو بروتستنتيا أو غير ذلك... وإن كان هذا النص وفق الشكل الذي صار عليه اليوم في اعتقادنا نحن المسلمون ليس وحيا سماويا خالصا، لأنه قد أصابه من التبديل والتحريف والتغيير ما أصاب التوراة وباقي الكتب الدينية السابقة، بشهادة آيات القرآن الكريم الصادقة، منذ أربعمائة وألف سنة. وبنتائج النقد العلمي والتاريخي الذي أجري عليه، قديما من قبل المسلمين وحديثا من قبل الدارسين الغربيين، بعد تطوره. إذ أثبت وبشكل قاطع بشرية مصدر هذا النص، بل إنه يعكس تصور الكاتب لحياة المسيح.

إن النقد التاريخي للنص الديني يتأسس على جملة أسئلة مركزية في هذا الباب، وبناء على الأجوبة تحدد طبيعة النص. وأهم هذه الأسئلة هي: من كاتب هذا النص؟ وما اسمه؟ وما علاقته بالمسيح (أو النبي)، وكيف توصل إلى هذه المادة المعرفية؟....

وإلى غير ذلك من الأسئلة الجوهرية التي تحتاج للبحث والتدقيق. وبناء على أجوبة هذه الأسئلة وغيرها، أيقن الدارسون أنه لم يستطيع أحد إلى الآن أن يجزم بأن «متى» هو كاتب الإنجيل الأول، و«مرقس» هو كاتب الإنجيل الثاني، و«لوقا» هو كاتب الإنجيل الثالث وسفر أعمال الرسل، و«يوحنا» هو كاتب الإنجيل الرابع. فالكُتاب وفق النقد التاريخي يظلون مجهولين، لا أثر لمعلومات واضحة عن هوياتهم، كما يظل تاريخ تدوين أول نسخة مجهولا، فضلا عن الاختلافات والاضطرابات الواضحة والجلية بين نصوص هذه الأناجيل التي أجمع أصحابها على قانونيتها. وبالرغم من كل ما توصل إلييه النقد التاريخي، فإنه يظل ذاك الكتاب المُتدَين به، وذاك الكتاب الذي ما يزال يتضمن شيئا من الحقائق التي أثبتها وأشار إليها القرآن الكريم وأخبر عنها، لأن عقيدتنا تقول بأن النص الديني السابق ـ وبالرغم من تحريفه ـ يتضمن شيئا من بقايا الوحي.

وارتباطا بموضوع البحث، نرى أن ثمة سؤال يفرض نفسه بقوة في هذا الباب وهو: هل ورد في نصوص أسفار العهد الجديد اسم «النصارى»؟ وما يفيد معناه؟ وما يدور في فلكه؟

وفي الإجابة عن هذا السؤال سنقتصر فقط على نصوص الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل. حيث أنه لم يرد في الأناجيل إلا صفة «الناصري» لقبا للسيد المسيح عليه السلام وتمييزا له. ومرة واحدة في سفر أعمال الرسل، بالصيغة القرآنية (النصارى). لكن أغلب الترجمات العربية للعهد الجديد تترجمها إلى: «الناصريين». وقبل أن نوضح ذلك أكثر، يجدر بنا أن نورد تلك النصوص التي وردت فها هذين اسمين:

١ ـ «وجاء إلى مدينة اسمها الناصرة فسكن فيها، ليتم ما قال الأنبياء: يدعى **ناصريا**»[١].

٢ ـ «هذا الرجل كان مع يسوع الناصر»[٢].

---

(١) متى، ٢: ٢٣.

(٢) متى، ٢٦: ٧١.

٣ ـ «ما لنا ولك يا يسوع الناصري أجئت لتهكلنا؟»[١].

٤ ـ «فلما سمع بأن الذي يمر من هناك هو يسوع الناصري أخذ يصيح»[٢].

٥ ـ «وقالت له أنت أيضا مع يسوع الناصري»[٣].

٦ ـ «لا ترتعبن أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب»[٤].

٧ ـ «وكان في المجمع رجل فيه روح شيطان نجس، فصاح بأعلى صوته: «آه، مالك ولنا يا يسوع الناصري؟ أجئت لتهلكنا؟»[٥].

٨ ـ «ما حدث ليسوع الناصري وكان نبيا قديرا في القول والعمل عند الله والشعب كله»[٦].

٩ ـ «أجابوا: «يسوع الناصري». فقال لهم: «أنا هو»[٧].

١٠ ـ «فسألهم يسوع ثانية: «من تطلبون؟» أجابوا: «يسوع الناصري». فقال لهم يسوع: قلت لكم أنا هو»[٨].

١١ ـ «وعلق بيلاطس على الصليب لوحة مكتوب فيها: «يسوع الناصري ملك اليهود»[٩].

---

(١) مرقس، ١: ٢٤.
(٢) مرقس، ١٠: ٤٧.
(٣) مرقس، ١٤: ٦٧.
(٤) مرقس، ١٦: ٦.
(٥) لوقا، ٤: ٣٣ ـ ٣٤.
(٦) لوقا، ٢٤: ١٩.
(٧) يوحنا، ١٨: ٥.
(٨) يوحنا، ١٨: ٧ ـ ٨.
(٩) يوحنا، ١٩: ١٩

١٢ ـ «يا بني إسرائيل اسمعوا هذا الكلام كان يسوع الناصري رجلا أيده الله بينكم»[١].

١٣ ـ «ولكني أعطيك ما عندي، باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش»[٢].

١٤ ـ «يقف هنا أمامكم صحيحا معافى باسم المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم»[٣].

١٥ ـ «ونحن سمعنا يقول: سيهدم يسوع الناصري هذا المكان ويغير التقاليد»[٤].

١٦ ـ «وكيف مسح الله يسوع الناصري بالروح القدس والقدرة»[٥].

١٧ ـ «فأجبت من أنت يا رب؟ قال: أنا يوع الناصري الذي تضطهده»[٦].

١٨ ـ «وجدنا هذا الرجل مفسدا يثير الفتن بين اليهود في العالم كله، وزعيما على شيعة النصارى»[٧].

١٩ ـ «فكنت أعتقد أن يجب أن أقاوم اسم يسوع الناصري بكل جهدي»[٨].

تبين انطلاقا من هذه النصوص، أن صفة أو لقب «الناصري» قد ورد مرتين اثنتين في إنجيل «متى»، وأربع مرات في إنجيل «مرقس»، ومرتين اثنتين في إنجيل «لوقا»، وثلاث مرات في إنجيل «يوحنا»، وسبع مرات في سفر «أعمال الرسل». أما اسم «النصارى» فقد

---

(١) أعمال الرسل، ٢: ٢٢.
(٢) أعمال الرسل، ٣: ٦.
(٣) أعمال الرسل، ٤: ١٠.
(٤) أعال الرسل، ٦: ١٤.
(٥) أعمال الرسل، ١٠: ٣٨.
(٦) أعمال الرسل، ٢٢: ٨.
(٧) أعمال الرسل، ٢٤: ٥.
(٨) أعمال الرسل، ٢٦: ٩.

ورد مرة واحدة في سفر أعمال الرسل، على أساس أنهم شيعة، بصيغة «شيعة النصارى»، حسب الترجمة العربية التي أعتمدها في هذه الدراسة، وهي الترجمة العربية المشتركة من اللغة الأصلية[١]، حيث أن العديد من الترجمات العربية لسفر أعمال الرسل تكتب بدل «شيعة النصارى» «شيعة الناصريين». بينما الترجمات الإنجليزية تصف هذه الشيعة بـ«نزارين» ـ «**Nazarene**» وتنسب السيد المسيح عليه السلام إلى مدينة الناصرة بعبارة «**Jesus of Nazareth**». أما نبوءة إنجيل «متى» «يدعى ناصريا» فقد ترجمتها إلى العبارة التالية «**be called Nazarene**»، ولاحظ نفس الكلمة لترجمتين عربيتين مختلفتين؛ ناصريا ونصارى.

ولقب «يسوع الناصري» إنما يراد بها على أن النبي عيسى عليه السلام ينسب إلى مدينة الناصرة التي نزل بها ومكث بها شطرا مهما من حياته، هو وأمه مريم عليها السلام وزوجها يوسف النجار[٢]. باستثناء النص الأول، الذي ورد في إنجيل «متى»، الذي يتضمن نبوءة توراتية بخصوص السيد المسيح عليه السلام، والتي جاء فيها: «فسكن فيها ليتم ما قال الأنبياء: يدعى ناصريا». حيث الاختلاف حول مغزى ومضمون هذا النص، لا ينكره أحد، فهناك من المفسرين منهم من ذهب مذهب سبب كونه سيدعى ناصريا لأنه من الناصرة، فنسب إليها، رغم أنه قد ولد ببيت لحم[٣]. ومنهم من نفى وجود هذا النص في الأصل التوراتي، وذهب إلى القول بأن الكاتب كان مغرما بالمحسنات اللغوية في الكتابة.

أما نص سفر أعمال الرسل الذي جاء فيه «وجدنا هذا الرجل آفة من الآفات، يثير الفتن بين اليهود كافة في العالم أجمع وأحد أئمة شيعة النصارى»، بصريح عبارة «النصارى»،

---

(١) وكذلك الرهبانية اليسوعية، بولس باسيم، دار المشرق ش. م. م ـ بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٩٩٤.

(٢) نحن المسلمون لا نعتقد بأن مريم عليها السلام قد خطبت أو تزوجت أو لها أبناء غير عيسى عليه السلام.

(٣) كما يؤكد ذلك إنجيل «متى»، حيث جاء فيه: «ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية على عهد الملك هيرودس».

نقلا ورواية للتهم التي وجهت لبولس، على أنه رجل مفسد يثر الفتن بين جميع اليهود، ويحرضهم على الشغب، وأنه قائد لشيعة النصارى، وأنه قد شرع في أن ينجس الهيكل... إلى غير ذلك من التهم الوجهة إليه، وأهمها تهمة قائد بارز لشيعة النصاري. وهي تهمة يقر بها كما ينقل عنه كاتب هذا السفر في موضع آخر قائلا: «لكني أقر بأني أعبد إله آبائنا على المذهب الذي يدعون أنه بدعة، وبأني أومن بكل ما جاء في الشريعة وكتب الأنبياء»(١).

فوصف «بولس» بأنه قائد لشيعة النصارى، يفضي إلى أن ثمة طائفة وشيعة بالفعل تحمل هذا الاسم أو هذا اللقب، لها مشروع واضح. ومميزات وصفات تتميز بها عن اليهود وعن سائر عامة الناس. صفات جعلت من اليهود على وجه الخصوص، والسلطة الرومانية، يحاربون المنتسبين إليها. وما التهمة التي اتهم بها بولس لدليل على عدم التوافق والوفاق بين اليهود والنصارى، حتى وإن كانوا على نفس الانتماء العرقي، أو الأصل الديني. ولذا نجد رئيس الكهنة يقول: «أردنا أن نحكم عليه حسب ناموسنا»(٢).

الطائفة التي اتهم بولس بالانتماء إليها (النصارى أو الناصريون)، يعرفها الدارسون بأنها جماعة يهودية تنصرت، وكان أغلب أتباعها من منطقة الجليل (شمال فلسطين)، وبالضبط من مدينة الناصرة، وإليها انتسبوا، بعد ان تنصروا والتحقوا وانضموا إلى الحواريين والرسل. وهم في تدينهم يعتمدون على العهد الجديد والعهد القديم، ولا يرفضون الشريعة والأنبياء والنصوص التي يسميها اليهود كتابا مقدسا. فهم يعيشون على وفق التعاليم التي تأمر بها الشريعة اليهودية. لا يختلفون عن اليهود سوى أنهم يؤمنون بالسيد المسيح، وبقيامة الأموات، وأن لكل شيء أصله عند الله، ويؤمنون بالإله الواحد وبابنه يسوع المسيح(٣).

---

(١) سفر أعمال الرسل، ٢٤: ١٤.

(٢) أعمال الرسل، ٢٤: ٧.

(٣) أنظر:

- دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، محمد على البار، دار القلم، دمشق، د. ط، تاريخ كتابة المقدمة ٣١ أكتوبر ٢٠٠٥، ص: ٤٨٥. =

فالنصارى أو الناصريون «فرقة دينية خاصة تماما مثل شيعة الصدوقيين، وأنها عرفت قبل تطور اللاهوت المسيحي وظهور الاختلاف فيه»[١].

ولا بأس أن نشفع هذا المبحث بآراء واجتهاد المفسرين المسيحيين في تحديد معنى وتفسير نبوءة إنجيل متى «يدعى ناصريا».

حيث يذهب «وليم باركلي» في تفسير هذا النص «سيدعى ناصريا» إلى القول بأن هذه النبوءة تواجه المفسرين بصعوبة كبيرة، ذلك لأنه لا توجد آية في العهد القديم بهذا المعنى، وحتى مدينة الناصرة غير مذكورة على الإطلاق في العهد القديم (...) ويعتقد البعض أنه يشير إلى اعتقاد اليهود في فترة ما بين العهدين، أن المسيا سيدعى ناصريا... والبعض الآخر يقول أن الكتاب الأقدمين، كانوا دائما مغرمين باستخدام المحسنات اللفظية مثل الجناس والطباق والكناية في أساليب الكتابة، وأن متى يشير إلى الآية الواردة في إشعيا (١١: ١) «ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله» ذلك أن كلمة غصن في الأصل العبري هي كلمة «ناصر»، إنه سيدعى الغصن.... الناصري»[٢].

بينما «كروماتوس» يقول: «يسمى ربنا ومخلصنا «ناصريا» على اسم مكان وهو مدينة الناصرة، وكأنه على اسم سر الشريعة، فحسب الشريعة يسمى الذين ينذرون عفتهم لله ناصريين، ويطبقون ذلك النذر»[٣].

= • الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، نهاد خياطة، دار الأوائل، د. ط، د. ت، ص: ٧٧ ـ ٧٨.

• دائرة المعارف الكتابية، وليم وهبه بباوي، دار الثقافة، القاهرة مصر، ٢٠٠٥، د. ط، مج ٨، حرف النون، ص: ١١ ـ ١٢.

(١) أصول تسمية النصرانية والمسيحية في ضوء القرآن الكتاب المقدس، عمر الحافي، ص: ١١٣ ـ ١١٤.

(٢) تفسير العهد الجديد، وليم باركلي، ترجمة: القس فايز فارس، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م، مج١، ص: ٣٧.

(٣) التفسير المسيحي القديم للكتاب المقدس، الإنجيل كما دونه متى، نقله من اللغات الأصلية: الأب=

أما «جيروم» فيقول: «لو وجدت هذا الآية في الكتاب المقدس، لما قال: «لأنه قيل بلسان الأنبياء» بل لقال بصراحة أكبر: «لأنه قيل بلسان نبي»، والآن بكلامه العالم على الأنبياء بعامة، أظهر أنه لم يأخذ الكلام حرفيا، بل استعمل المعنى العام للكتاب المقدس، فلفظة «الناصري» تفهم بمعنى «القدوس»، والكتاب يشهد على أن الرب قدوس»[١].

ويقول «ر. ت فرانس»: «يجب ملاحظة أن الصيغة التي تقدم الاقتباس بعينه بل بعبارة «أنه» (**hoti**) وهذا يفيد أنه لم يقصد اقتباس من فقرة معينة، بل تلخيصا لموضوع التطلعات والآمال النبوية، ولذلك قيل إن «متى» رأى في غموض كلمة «ناصري» إتماما لإشارات العهد القديم إلى مسيح متواضع ومرفوض، فإنه يعرف يسوع باللقب المزدري «ناصري»[٢].

وترى دائرة المعارف الكتابية: «أن متى لا يشير إلى نبوة بعينها، بل إلى مرمى العديد من النبوات التي تشير إلى أنه سيكون محتقرا ومخذولا (إش ٥٣: ١ ـ ٣)[٣]. فقد كان أهل الناصرة موضع احتقار وازدراء (يو ١: ٤٦)[٤]، وقد لازمه هذا اللقب إلى الموت، فقد كتب بيلاطس النبطي عنوانه على الصليب «يسوع الناصري ملك اليهود... بالعبرانية واليونانية واللاتينية» (يو١٩: ١٩و٢٠)[٥]، بل لازم هذا اللقب تلاميذه أيضا

= ميشال نجم (مع فريق من المترجمين والمحررين)، منشورات جامعة البلمند، مطبعة ليزار، د ط، ٢٠٠٤، ص: ١٠٦.

(١) نفسه، ص: ١٠٦.

(٢) التفسير الحديث للكتاب المقدس، العهد الجديد إنجيل متى، ر. ت فرانس، ترجمة: أديبه شكري، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م، ص: ٨٨.

(٣) «من صدق حبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب، نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه، محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به».

(٤) «فقال له نثنائيل: «أمن الناصرة يخرج شيء صالح»، فأجابه فيلبس: «تعالى وانظر».

(٥) «وعلق بيلاطس على الصليب لوحة مكتوبا فيها: «يسوع الناصري ملك اليهود». فقرأ كثير من اليهود=

(أع ٢٤: ٥)»[1][2].

والذي نخلص إليه، انطلاقا من هذه الآراء التي لا غنى عنها في فهم العقلية المسيحية في تعاطيها مع هذا الموضوع، أن:

١ ـ نسبة إلى مدينة الناصرة، التي ينتسب إلى السيد المسيح عليه السلام، والتي عاش فيها بعد أن انتقل إليها مع أمه مريم وزوجها يوسف النجار. مع العلم أن هذه المدينة غير مذكورة في العهد القديم، كما يذهب إلى ذلك فريق من المفسرين.

٢ ـ بمعنى القدوس والعابد الذي ينذر نفسه وحياته كلها لله تعالى، فلا يصرفها إلا فيما نذر به إلى خالقه، فالسيد المسيح كان من هؤلاء الذين نذروا أنفسهم لخالقهم، وسار تلامذته وأتباعه على نهجه، واستحقوا اللقب الذي لقب به.

٣ـ بمعنى الإنسان المتواضع أو المحتقر والمخذول، لأن الناصرة كانت دوما موضوع احتقار وازدراء، فكل من ينتسب إليها يحتقر، فأطلق هذا الاسم على المسيح وأتباعه احتقارا لهم ليس إلا.

وفي نهاية هذا المبحث نطرح السؤال التالي: لماذا تصر الكثير من الترجمات العربية على استعمال اسم «الناصريين» بدل «النصارى» مع العلم أن الترجمات الإنجيلية كلها متفقة على ترجمة واحدة وهي «Nazarenes»، بل حتى نص النبوءة الوارد في إنجيل «متى»، يترجم «ناصريا» إلى «Nazaren».

❁ ❁ ❁

= هذه الكتابة، لأن المكان الذي صلبوا فيه يسوع كان قريبا من المدينة. وكانت الكتابة بالعبرية واللاتينية واليونانية».

(١) «فبينا إذ وجدنا هذا الرجل مفسدا ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة ومقدام شيعة الناصريين».

(٢) دائرة المعارف الكتابية، وليم وهبه بباوي، مج ٨، حرف النون، ص: ١٢.

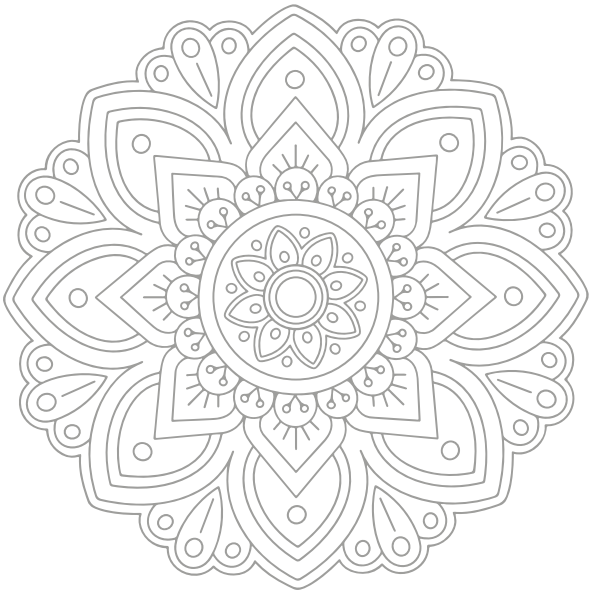

المبحث الخامس

«النصارى» الناصريين من الناصرة

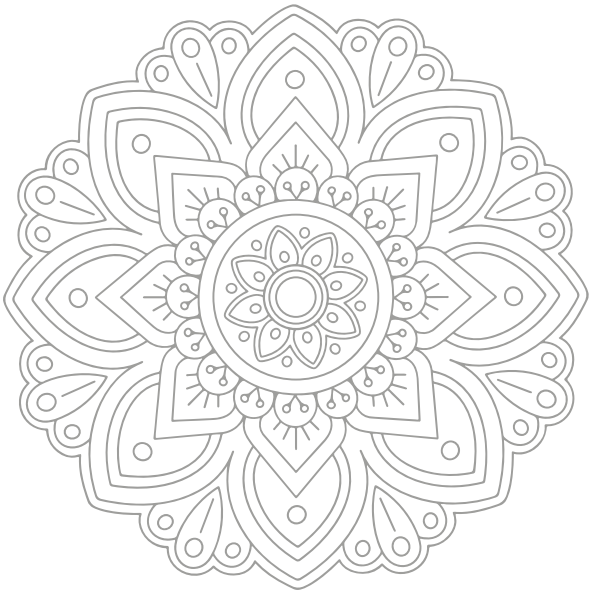

المبحث الخامس

«النصارى» «الناصريين» من الناصرة

لم يكن فريق من المفسرين واللغويين المسلمين فيما ذهبوا إليه من كون أن اسم النصارى قد اشتق من مدينة الناصرة وانتسابا لها، إلا نقلا ورواية للأثر المسيحي الذي تسرب إلى الفكر الإسلامي، إما عن طريق المهتدين إلى الإسلام من النصارى، وإما عن طريق الاحتكاك الثقافي بالفكر المسيحي. فقد كانوا في ذلك مقلدين للتقليد المسيحي الكنسي، الذي يرى أن اسم النصارى (أو الناصريين)، يعود في أصله إلى مدينة الناصرة انتسابا، مدينة السيد المسيح عليه السلام. إلا أن هذه الرواية، وبالرغم من شيوعها في الفكر الإسلامي، لم تكن تروى إلا بصيغة التمريض الذي يفيد الظن والاحتمال، لا بصيغة القطع الذي يفيد اليقين، إلا نادرا، وهذا يدل على أن هذا الفريق من المسلمين لم يكن مقتنعا بهذا التفسير، فقد كان يورده فقط من باب الافتراض العلمي.

وقد اهتم الباحثون المعاصرون بهذه المسألة، أيما اهتمام، بالبحث والدراسة، على مختلف المعارف العلمية المتداخلة والتي لها صلة بالدرس الديني، وبهذا الموضوع بشكل خاص. إذ كانت هذه المدينة تشكل لغزا وإشكالية في بحوث مؤرخي ودارسي التاريخ الديني المسيحي، بل أثرت نقاشا وجدالا بين التقليد المسيحي والنقد العلمي التاريخي والأركيولوجي، بين إثباتها مدينة حقيقية للسيد المسيح حسب التقليد الكنسي، ونفيها بناء على ما توصل إليه النقد التاريخي والأركيولوجي. بله صحة الانتساب إليها لغويا. مما حدا بالباحثين والدارسين إلى دراسة هذا الموضوع دراسة تاريخية وجغرافية وحتى لغوية.

ذلك أن الموضوع الذي يبحث الناس فيه من زوايا وتخصصات علمية متعددة، يكون موضوعا متشابك الخيوط ومعقد شيئا ما. فيجب في هذه الحالة البحث عن الخيط الرئيس الذي يؤدي إلى النتيجة ويوصلنا إلى فهم الموضوع فهما دقيقا وبشكل موضوعي. ولذا أرى من المناسب تقسيم هذا المبحث إلى موضوعات مطلبية جزئية، تدرس كل جزئية على حدة، وفي الأخير يتم جمع نتائج هذه الدراسة في خلاصة جامعة. وأرى التقسيم الآتي هو المناسب: أولا: تعريف مدينة الناصرة في الفكر الديني. ثانيا: مدينة الناصرة الحالية جغرافيا. ثالثا: مدينة الناصرة الإنجيلية. رابعا: مدينة الناصرة بين التاريخ والحفريات.

أولا: مدينة الناصرة في الفكر الديني[١]:

يعتقد المسيحيون بأن مدينة الناصرة الحالية، هي نفسها المدينة التي ينسب إلى السيد المسيح، وتلامذته، وهي قرية ولاية الجليل، موطن يوسف النجار ومريم العذراء والسد المسيح عليه السلام؛ ففيها تلقت السيد مريم العذراء علها السلام خبر إنجابها لعيسى عليه السلام من قبل الملاك (جبريل عليه السلام)، وفيها تربى وترعرع تعلم، وفيها أقام بعد عودته من مدينة أورشليم (يقصدون مدينة القدس) معية أمه وخطيبها يوسف النجار.

تقول دائرة المعارف الكتابية، ما نصه: «الناصرة قرية في ولاية الجليل وكانت موطن يوسف ومريم العذراء والرب يسوع»[٢].

وتضيف: «تذكر الناصرة... بأنها المدينة التي سكن فيها يوسف ومريم العذراء ومعهما الطفل يسوع، بعد عودتهم من مصر(متى ٢: ٢٣). ونعلم من إنجيل لوقا أن مريم العذراء ويوسف كانا يقيمان فيها من قبل... وبها بشرها (الملاك) بأنها ستلد ابنا

---

(١) سبق أن درسنا هذا الموضوع في كتابنا دراسة في إنجيل لوقا، دار الصفحات للنشر والتوزيع، دبي الإمارات العربية ـ دمشق سورية، ط١، ٢٠١٦، تحت عنوان لغز الناصرة.

(٢) دائرة المعارف الكتابية، وليم وهبه بباوي، حرف النون، ص: ٩.

وتسميه يسوع. (لوقا ٣: ٢٦ ـ ٣٣). وبسبب الاكتتاب الذي أمر به قيصر، ذهب يوسف ومريم إلى موطنهما الأصلي في بيت لحم حيث وضعت وليدها (لوقا ٢: ١ ـ ٦) وبعد عودتهما من مصر ذهب يوسف ومريم ومعهما الرب يسوع إلى الناصرة وسكنوا هناك. وفي الناصرة قضى الرب صباه (لوقا ٢: ٣٩ و٤٠ و٥١، ٤: ١٦)، ثم ذهب منها إلى نهر الأردن ليعتمد من يوحنا المعمدان (مرقس ١: ٩)، وبعد أن أسلم يوحنا المعمدان، تا الرب يسوع الناصرة وأتى فسكن في كفر ناحوم (متى ١٤: ١٣). ومع أن الرب يسوع كان يدعى ناصريا، إلا أنه لم يذهب للناصرة بعد أن غادرها إلى كفر ناحوم، إلا مرة واحدة حين دخل إلى المجمع في يوم السب وقرأ من نبوة إشعياء (إشعياء ٦١: ١ ـ ٣) وطبق النبوة على نفسه»[١].

ثانيا: مدينة الناصرة الحالية:

تقع مدينة الناصرة الحديثة على مسافة عشرة أميال من سهل مرج ابن عامر على التلال الجيرية في الطرف الجنوبي لجبال لبنان، نحو منتصف الطريق بين بر طرف بر الجليل (جهة الشرق) وجبل الكرمل (جهة الغرب)، وعلى بعد خمسة عشر ميلا، من بحر الجليل وعشرين ميلا من الشرق من ساحل البحر المتوسط، وعلى سبعين ميلا من أورشليم (مدينة القدس)[٢].

ثالثا: مدينة الناصرة الإنجيلية:

إن الدارس لنصوص أسفار العهد الجديد التي تصف مدينة الناصرة، دراسة جغرافية استقرائية واستنباطية، يستقرئ بها السمة الجغرافية لهذا المكان، وبدقة متناهية؛ فإنه سيخلص إلى نتيجة هامة، مفادها أن مدينة الناصرة الحديثة، التي يصر التقليد المسيح

---

(١) نفسه، ص: ١٠ ـ ١١.

(٢) نفسه، ص: ٩ ـ ١٠.

أن ينسب السيد المسيح إليها، لا علاقة لها بناصرة الإنجيل «نزاريت **Nazareth**»، إذ بينهما اختلافات على مستوى التركيب الجغرافي، لا ينكرها إلا مجادل. وهي اختلافات يحكم من خلالها أي باحث على عدم صحة علاقة المدينة الحالية بمدينة الإنجيل.

فمدينة ناصرة الإنجيل أو «نزاريت **Nazareth**» مدينة مبنية على حافة جبل له منحدر قائم، قريبة جدا إن لم نقل محاذية لشاطئ بحيرة. بالإضافة إلى أنها لم تكن منطقة ذات أهمية في التاريخ الديني، وعند اليهود بالخصوص، إذ لم يتوقع أحد أن يخرج منها نبي أو مصلح يعمل على رفعة شأن قوم بني إسرائيل.

والنصوص الإنجيلية الآتية تبين ذلك:

١ ـ جاء في إنجيل «متى»: «وخرج يسوع من الدار في ذلك اليوم وجلس بجانب البحر»[١]. «فلما سمع يسوع، خرج من هناك في قارب إلى مكان مقفر يعتزل فيه. وعرف الناس، فتبعوه من المدن مشيا على الأقدام. فلما نزل على القارب رأى جموعا كبيرة فأشفق عليهم وشفى مرضاهم»[٢].

٢ ـ وجاء في إنجيل «لوقا»: «فقاموا، وأخرجوه إلى خارج المدينة، وجاؤوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه ليلقوه منها»[٣].

٣ ـ وجاء في إنجيل «يوحنا»: «ولقي فيلبس نثائيل، فقال له: وجدنا الذي ذكره موسى في الشريعة والأنبياء والكتب، وهو يسوع ابن يسف من الناصرة. فقال له نثائيل (مستغربا) أمن الناصرة يخرج شيء صالح؟»[٤].

فموقع مدينة الناصرة الإنجيلية «نزاريت **Nazareth**» الجغرافي على حافة الجبل

---

(١) متى، ١٣: ١.

(٢) متى، ١٤: ١٣ ـ ١٤.

(٣) لوقا، ٤: ٢٩.

(٤) يوحنا، ١: ٤٥ ـ ٤٦.

شديد الانحدار، وبقرب الشاطئ، شاطئ بحيرة، ميزتان جغرافيتان لا تتوفران في مدينة الناصرة الحديثة. إذ أن المسافة التي بينها وبين أقرب شاطئ إليها، لا تقل عن مسيرة يومين، بين الهبوط والصعود للمرتفعات الجبلية التي يجتازها القادم من الناصرة[١].

رابعا: الناصرة بين التاريخ والحفريات:

إن ما يعتقده المسيحيون التقليديون بخصوص مدينة الناصرة، يفنده التاريخ، ويكذبه التنقيب الأثري الذي أجري بالمنطقة، من قبل علماء الأثر.

فالتاريخ لا يعترف بوجود هذه القرية[٢]، إبان فترة المسيح عليه السلام (حسب التقويم المسيحي)، والدليل عل ذلك هو أن العهد القديم بأسفاره وأجزائه، والذي يعد الكتاب المقدس لدى اليهود، والمعتمد من قبل المسيحيين أيضا، لا يشير إلى هذه القرية، بل يخلو من ذكر اسمها ألبتة[٣]. حيث يقول المفسر الكبير «وليم باركلي»: «وحتى مدينة الناصرة نفسها غير مذكورة على الإطلاق في العهد القديم»[٤]. وكذلك التلمود اليهودي الذي ذكر أسماء ثلاث وستين مدينة وقرية في الجليل ولم يشر ولو مرة واحدة إلى الناصرة.

بالإضافة إلى أقدم المصادر التاريخية المسيحية لا تثبت وجود هذه القرية الهامة جدا في التراث المسيحي قبل القرن الخامس الميلادي. وكذلك لم يرد ذكرها في كتابات

---

(١) أنظر: يسوع الناصري... مسيح بولس دفاع عن المسيح ابن مريم عليه السلام من واقع الأصول اليونانية، جمال الدين شرقاوي، مكتبة النافذة، ط١، ٢٠٠٦، ص: ٤٥.

(٢) الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، سهيل زكار، دمشق، د. ط، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج٣٣، ص: ٢٩٧.

(٣) موسوعة آباء الكنيسة، إعداد عادل فرج عبد المسيح، دار الثقافة، د. ط، د. ت، الجزء الثالث، ص: ٧١.

(٤) تفسير العهد الجديد، الدكتور وليم باركلي، ترجم الدكتور القس فايز فارس، دار الثقافة، ط١، ١٩٩٣، مج ١، ص: ٣٧.

جغرافيي ومؤرخي فلسطين حتى القرن الرابع. فلم يذكرها كل من فيلو الاسكندري الفيلسوف اليهودي، ولا يوسيفوس فلافيوس **Flavuis Josephe** المؤرخ اليهودي، خاصة وأنه ذكر معظم مدن وقرى فلسطين الهامة منها، وغير الهامة، الصغيرة والكبيرة على السواء، في كتابيه المشهورين «الحروب اليهودية» و«تاريخ اليهود»، إلى درجة أن ذكر مدينة «يافا» التي ولد فيها، والتي تبعد حوالي ميلا واحدا عن الناصرة[١].

في هذا الصدد يقول محمد فارق الزين: «وقد ذكر أيزغمان وغيره... أن المؤرخ اليهودي الروماني المعروف فلافيوس جوزيفس لم يذكر الناصرة في كتاباته قط، رغم أنها كانت مفصلة جدا، كما لم يرد ذكر الناصرة في أي من كتب العهد القديم، أما المدينة الرئيسة في الجليل فكانت الصفورية، والناصرة على فرض أنها كانت موجودة فقد تكون قرية صغيرة غير بعيدة عن صفورية، وهناك احتمال أن تكون الناصرة نشأت في وقت متأخر إذ يبدو أن الكنائس الأولى فيها نشأت في القرن الخامس»[٢].

ويقول شارل جنيبر: «رغم تكرار فكرة أن يسوع من الناصرة، في عشرات الآيات، فما من نص قديم، سواء أكان وثنيا أو يهوديا، يذكر مدينة الناصرة»[٣].

والذي يؤكده التاريخ هو أن اسم مدينة «الناصرة» قد ارتبط بظهوره على مسرح

---

(١) أنظر:
- دائرة المعارف الكتابية، وليم وهبه بباوي، حرف النون، ص: ٩.
- يسوع الناصري... مسيح بولس، جمال الدين شرقاوي، ص: ٤٠ ـ ٤٢.

(٢) المسيحية والإسلام والاستشراق، محمد فارق الزين، دار الفكر المعاصر ـ بيروت، دار الفكر ـ دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص: ١٢٤.

(٣) (Charles Guignebert: jesus, New york: Alfred a Knopf, 1935, p37-38) نقلا عن: الإشكالات الجغرافية لمولد المسيح ونشأته بين الكتاب المقدس والدراسات العلمية، آسيا شكيرب، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، العدد ٢٨، أبريل ٢٠١١، ص: ١٦٧.

التاريخ بزيارة قديستين «بولا» و«سيبفيا» للأماكن المقدسة في الناصرة نحو القرن الرابع الميلادي، وكذلك القديس «ثيؤدوسيوس» في سنة ٥٣٠ للميلاد.

فهذه المعطيات التاريخية تعضدها عمليات التنقيب الأثري، التي أجريت بالمنطقة، والتي توصل بموجبها العلماء إلى الجزم بأن مدينة الناصرة لم تكن معروفة مما يؤكد عدم وجودها أيام السيد المسيح. وهذا ما عبر عنه المؤرخ الفرنسي «بيار أنطوان برنهايم» بقوله: إن «**Nazareth** نزاريت» لم تكن موجودة زمن المسيح، وهذه حقيقة ثابتة من الناحية الأركيولوجية والتاريخية»، وفي نفس الصدد يضيف الباحث «أيتيان نودي» قائلا: «لقد أجرينا تنقيبات أثرية في نزاريت **Nazareth** تحت كنيسة «بازاليكا» الحالية، فوجدنا بعض البقايا ترجع إلى القرن الثاني وما بعده. أما ما يعود إلى القرن الأول فلم نجد شيئا واضحا»[1].

الخلاصة إذن أن الدراسات الأركيولوجية عززت طرح الدراسات التاريخية، التي نفت وجود هذه المدينة أو هذه القرية، التي يصر ويؤكد المسيحيون المؤمنون على إثباتها، وإثبات انتساب السيد المسيح إليها، ومن بعدهم المسلمون الذين يحذون حذو هذا الرأي. فمدينة الناصرة لا وجود لها في أحداث التاريخ زمن بعثة النبي عيسى عليه السلام، حسب المعطيات التاريخية المسيحية، فلا يمكن التسليم والإقرار بأن الناصرة الإنجيلية هي نفس مدينة الناصرة الحديثة، ولا يمكن أيضا أن نسقط أحداث الأولى التاريخية على الثانية، ولا يمكن عد الثانية موقع أحداث الأولى. وتلك هي الحقيقة التي تنبه إليها الباحثون المسيحيون وحتى التقليديون منهم، مما دفع بهم إلى تبني تفسيرا آخر أكثر دقة وعقلانية، وبالأخص حينما أدركوا أن اللغة لا تسعف صحة انتساب السيد المسيح إلى هذه المنطقة.

---

(١) أنظر: المسيح ولد في لبنان، الأب الماروني الدكتور يوسف يمين، مطبعة القارح، زغرتا ـ لبنان، ١٩٩٩، ص: ٦٩ ـ ١٣٢ ـ ٦٦٤ ـ ٦٧١.

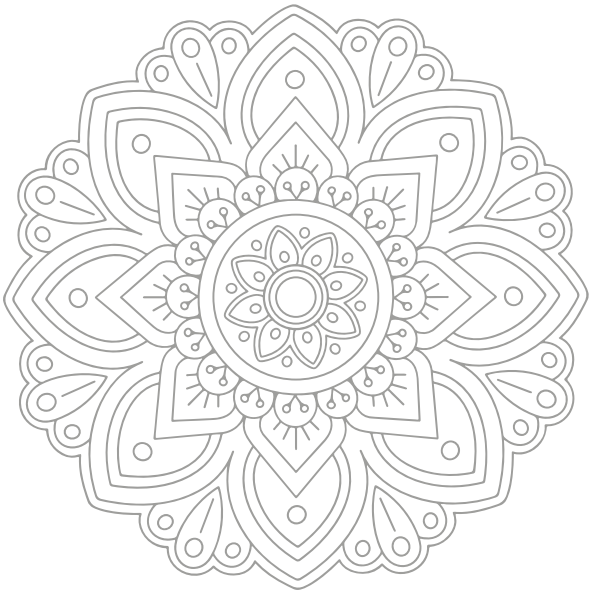

المبحث السادس

الأصل الاشتقاقي لـ«النصارى»

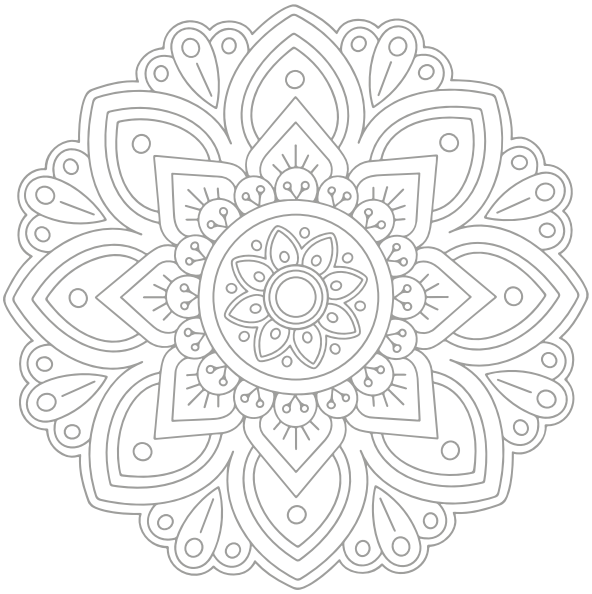

المبحث السادس

الأصل الاشتقاقي لـ«النصارى»

ما ذهب إليه الدارسون، وما ذهبته علماء الآثار، يفضي إلى أن الناصرة، تلك المدينة التي يزعم المسيحيون أن السيد المسيح عليه السلام ينسب إليها، لم يكن لها وجود جغرافي، إبان فترة البعثة العيسوية. ولعل سبب هذا الربط بين النبي عيسى عليه السلام وقرية الناصرة، من حيث الأصل والانتساب، هو محاولة تثبيت الوجود الجغرافي والمكاني، وحتى التاريخي، للنبي عيسى عليه السلام، بهذه الأرض، أرض فلسطين. مع العلم أن المصادر التاريخية تخلوا من الإشارة إلى وجود هذا النبي عليه والسلام بهذه الأرض.

ويزيد الموضوع تأكيدا، إذا علم القارئ أن اسم هذه القرية أو هذه المدينة لم يرد ذكرها في النص اليوناني بالصيغة العربية المعروفة «الناصرة»، كما في الترجمات العربية لأسفار العهد الجديد، إنما بصيغة «Nazareth»؛ بإحدى عشرة مرة؛ ثلاث مرات في إنجيل متى[١]، ومرة واحدة كذلك إنجيل مرقس[٢]، وخمس مرات في إنجيل لوقا[٣]، ومرة واحدة كذلك في إنجيل يوحنا[٤] وسفر أعمال الرسل[٥].

فكما هو واضح وجلي في الفرق بين الترجمتين العربية واليونانية، لمكان واحد،

---

(١) إنجيل متى: ٢: ٢٣، ٤: ١٣، ٢١: ١١.

(٢) إنجيل مرقس: ١: ٩.

(٣) إنجيل لوقا: ١: ٢٦، ٢: ٤ و٣٩ و٥١، ٤: ١٦.

(٤) إنجيل يوحنا: ١: ٤٥.

(٥) سفر أعمال الرسل: ١٠ ٣٨.

فكذلك يظهر الاختلاف جليا في الانتساب اللغوي إلى هذا المكان، لا يمكن التغاضي عنه. فقد أوردت الترجمات العربية؛ المسيح عليه السلام منسوبا إلى «الناصرة» بصيغة «الناصري»، والأتباع بـ «النصارى»، وبعض الترجمات بـ «الناصريين» جمع لـ «ناصري». بينما ورد هذا الانتساب نفسه في النص اليوناني بصيغة Nazoraios، وبصيغة Nazarene في الترجمة الإنجليزية، وبصيغة Nazoreon في الترجمة الفرنسية.

وإذا تأملنا نص إنجيل «متى» الذي أوردناه سابقا[١]، سنجد أنه أورد اسم القرية بـ «الناصرة» في الترجمات العربية، وبـ «Nazareth» في النص اليوناني الأصلي. والانتساب بصيغة Nazoraios، وبصيغة Nazarene في الترجمة الإنجليزية، بدل «ناصريا» حسب الترجمة العربية. وفي سفر أعمال الرسل ترجم النصارى إلى Nazarenes كذلك.

وهو إشكال في حد ذاته، فمن ينسب إلى الناصرة العربية فإنه يدعى بصيغة «الناصري»، أما من ينسب إلى «نزاريت» اليونانية والإنجليزية فإنه تماما سيدعى بصيغة «النازريتي». لأن التاء في «نزاريت» حرف أساسي. وصيغة Nazoraios خالية من حرف التاء. لأن الصيغتين مختلفتين. ولهذا يكون قد أخطأ من قال في العربية بأن المسيح كان ناصريا... وقد انتبهت الترجمات الإنجليزية القياسية والمحققة إلى هذا الأمر، فقامت بتصحيح العبارة الدالة على الانتساب اللغوي من «jesus of nazareth» إلى «jesus of nazarene»[٢].

وإننا نجد الترجمة العربية للعهد الجديد التي نعتمدها في هذه الدراسة، قد انتبهت هي بدورها إلى هذا الأمر، فترجمت الكلمة (Nazarenes) الواردة في سفر أعمال الرسل إلى «النصارى» بخلاف الترجمات العربية الأخرى، بيد أنها لم تفعل نفس الأمر مع نبوءة إنجيل «متى»، فبدل أن تترجمها إلى (نصرانيا) ترجمتها إلى (ناصريا)، مع العلم أنها نفس

---

(١) متى، ٢: ٣٢.

(٢) أنظر: يسوع الناصري، جمال الدين شرقاوي، ص: ٤٩.

الكلمة في الترجمة الإنجليزية، فقط أنها وردت هنا بصيغة مفرد، وبسفر أعمال الرسل وردت بصيغة الجمع.

على أي، فثمة آراء تفسيرية عديدة، سواء للمفسرين أو الباحثين على السواء، التي ترى أن الاسم لم يشتق من اسم القرية الناصرة، وإنما تعود أصولها إلى كلمات ذات دلالات متنوعة، إما في العبرية أو الآرامية أو الكلدانية أو السريانية أو حتى العربية، وكل منهم يعمد إلى إسقاط دلالة من دلالات الأصل الاشتقاقي على هذه الطائفة أو هؤلاء القوم «النصارى».

أولا: النصارى من «نيتصر» أو «نصر» بمعنى الفرع:

فقد ذهب فريق من الباحثين إلى القول بأن (النصارى) أو (الناصريين) قد اشتق اسمهم من كلمة (نصر) التي تعني الفرع، الواردة في الأسفار العهد القديم. ذلك أن هذه الأسفار وبالأخص [إشعيا وإرميا] تسمي المسيح الآتي فرعا لآل داود. وكلمة (نصر) استعملت لتدل على معنى الفرع... ومؤلف إنجيل «متى» حمل (نصر) على مدينة الناصرة، ومن هنا نسب محرفا كون المسيح ناصريا إلى الأنبياء السابقين[١].

وهو ما يشير إليه قاموس الكتاب المقدس، حيث جاء فيه: «... وعلى الأرجح أن هذا اللقب الذي لقب به المسيح في «متى» (٢: ٣٢) يشير إلى النبوة التي يسمي فيه المسيح (نيتصر) ومعناه (قضيب) ـ صولجان ـ الذي جاء في إشعياء (١: ١١) «ويخرج قضيب من جذع يسمى وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخالفة الرب»[٢].

---

(١) المسيحية النصرانية: دراسة تحليلية، ساجد مير، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، د. ط، تاريخ كتابة كلمة الناشر ١٣ماي ٢٠٠٢، ص: ٢٦٤.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة، دار الثقافة، القاهرة، ط١١، ١٩٩٧م، ص: ٩٤٧. دائرة المعارف الكتابية، وليم وهبه بباو، حرف النون، ص: ١٢.

ويعتقد الدكتور عمر الحافي أن هذه الكلمة العبرية (نيتصر) والتي من معانيها: شطء بمعنى الزرع، هي التي أشار إليها القرآن الكريم في سورة الفتح، الآية ٢٩. حيث كتب ما نصه: «وعند الرجوع إلى اللغة العبرية نجد كلمة (نيتصر) تعني برعم، شطء (الزرع)، غصين، ذرية. وفي اللغة السريانية الآرامية (ناصورا) غصن نضر. والمتمعن في هذه المعاني لكلمة (نيتصر) في ضوء القرآن الكريم يجد إشارة قرآنية (...) قد جاءت في سياق الحديث عن أتباع النبي محمد ﷺ، ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ﴾ [الفتح: ٢٩] فمثال أتباع النبي في الإنجيل هم كمثال الزرع الذي أخرج شطأه وهو نفس معنى (الغصن نتصر) فهم نيتصريم، وربما حورت هذه اللفظة العبرية في لسان العرب لتصبح ناصريين وذلك حتى تنسجم مع الميزان العربي»[١].

ثانيا: النصارى من «الناذريين»:

ويذهب فريق آخر إلى القول بأن صيغة Nazoraios تعادل لفظة «النذير» الواردة في العهد القديم، والتي تعني «قديس الله».

ولفظة «النذير» هذه؛ من الناذريين، النذريين، النذيرين. أي الجماعة اليهودية، التي تنفرد بأخلاقيات وممارسات طقوسية خاصة بها، منها أنها ترفض العيش ضمن مجمع سكني أو البيوت، وتفضل على ذلك الحياة في البراري، أفرادها لا يشربون الخمر، أو أي شيء مصنوع من العنب، ولا يقصون شعورهم، ويتبعون نظاما غذائيا صارما... إلخ.

وقد حظيت هذه الجماعة بمباركة نبي التوراة «عاموس»، كما جاء على لسانه في السفر المنسوب إليه، أثناء تنديده بخطايا بني إسرائيل: «... وأنا أصعدتكم من أرض مصر وسرت بكم في البرية أربعين سنة لترثوا أرض الأموري. وأقمت من بنيكم أنبياء ومن فتيانكم «نذيرين» أليس هكذا يا بني إسرائيل يقول الرب. لكنكم سقيتم «النذيرين» خمرا

(١) أصول تسمية النصرانية والمسيحية في ضوء القرآن الكريم والكتاب المقدس، عمر الحافي، ص: ١١٣.

وأوصيتم الأنبياء قائلين لا تتنابوا...»[١].

ويذهب هذا الفريق إلى القول بأن الأصل التشريعي لتدين هؤلاء الناذريين هو النص السادس من سفر «العدد» من العهد القديم، الذي جاء فيه: «وكلم الرب موسى قائلا: كلم بني إسرائيل وقل لهم إذا انفرز رجل أو امرأة لينذر نذر النذير لينتذر للرب. فعن الخمر والمسكر يفترز ولا يشرب خل الخمر ولا خل المسكر ولا يشرب من نقيع العنب ولا ياكل عنبا رطبا ولا يابسا. كل أيام نذره لا ياكل من كل ما يعمل من جفنة الخمر من العجم حتى القشر. كل أيام نذر افترازه لا يمر موسى على رأسه إلى كمال الأيام التي انتذر فيها للرب يكون مقدسا ويربي خصل شعر رأسه. كل أيام انتذاره للرب لا يأتي إلى جسد ميت»[٢].

وبناء على هذه الأدلة وغيرها، تأكد لهؤلاء الباحثين ومن اقتفى أثرهم في هذا الرأي، أن أن معنى تعبير «Nazoraios» اليوناني، و«Nazarene» الإنجليزي، هو «النذير» أو «المنذور». ومن ثم التأكيد على أن السيد المسيح كان «ناذريا» أو «نذيريا» أو «نذيرًا».

وهو رأي في نظرنا وحسب علمنا غير سوي. فإذا رجعنا إلى الأصل العبري لهذه النصوص، فإننا سنكتشف أن هؤلاء الباحثين قد خلطوا بين تعبيرين عبريين مختلفي البنية والدلالة؛ **נזיר (نزير)** و**נדר (نذر)**، كما هو مبين في النصوص الآتية:

١ ـ «כי הנת הרה וילדת בן ומורה לא-יעלה על-ראשו **כי-נזיר** אלוהים יהיה הנער מן-הפטן והוא יחל להושיע את-ישראיל מיד פלשתים»[٣].

٢ ـ «ואקים מבניכם לנביאים ומבחוריכם **לנזרים** האף אין-זות בני ישראל נאם-יהרה»[٤].

---

(١) سفر عاموس ٢: ١٠ ـ ١٢.

(٢) سفر العدد ٦: ١ ـ ٦.

(٣) سفر القضاة ١٣: ٥.

(٤) سفر عاموس ٢: ١١ ـ ١٢.

«וידבר יהוה אל-מושה לאמר: דבך אל-בבני ישראיל ואמרית איש או-אשה כי יפלא **לנדר נדר נזיר** להזיר ליהוה»[١].

يظهر لنا من خلال النصين الأوليين أن الكاتب استعمل تعبير «נזיר (نزير)» للدلالة على الناذريين/ النذيرين، فترجم بذلك «כי-נזיר (كي نزير)» في النص الأول إلى: «لأن نذيرا»، وترجم تعبير «לנזרים (لنزيريم)» في النص الثاني إلى: «النذيرين». أما النص الثالث، والذي يعد بمثابة النص التشريعي للناذريين استعمل الكاتب فيه التعبير العبري «נדר (ندر)» الدال على «النذر» في العبرية[٢] والعربية على السواء.

وكما هو ملاحظ أن كلا التعبيرين العبريين، المختلفين في البنية، ترجما إلى نفس المعنى «النذر»، وهذا هو السبب الرئيس في الخلط بين التعبيرين.

ذلك أن التعبير العبري «נדר (ندر)» من نذر شيئا ونذورا، أوجبه على نفسه. والنذر ما يقدمه المرء لربه، أو يوجبه على نفسه من صدقة أو عبادة أو نحوها. وهو مذكور بكثرة في الكتاب المقدس، بالأخص سفر المزامير.. ومنه «النذير»؛ الشخص الذي ارتبط بنذر خاص لينفرز للرب، أي ليكرس نفسه لخدمة الرب، سواء لمدى الحياة أو لمدة معينة، وسواء كان النذر منه، أو من والديه لمدى الحياة، كما في حالة صموئيل، أو بأمر الرب كما في حالة شمشون، ويوحنا المعمدان[٣].

أما التعبير العبري الثاني «נזיר (نزير)»[٤] فإنه يعني: قديس الله، أي الناسك، العابد، التقي، الزاهد، الصائم... وهو تعبير أعم من تعبير «נדר (ندر)».. حيث أنه ليس من الواجب

---

(١) سفر العدد ٦: ١ ـ ٢.

(٢) قاموس عبري ـ عربي، يحزقيل قوجمان، مكتبة المحتسب (عمان الأردن)، دار الجيل (بيروت)، د. ط، د. ت، ص: ٥٧٣

(٣) دائرة المعارف الكتابية، وليم وهيه بباوي، حرف النون، ص: ٤٩.

(٤) قاموس عبري ـ عربي، يحزقيل قوجمان، ص: ١٩٧٠.

على العابد، أو الناسك، أو الزاهد التقي أن يفرض على نفسه، أو أن يتقيد بنظام معين، من الطقوس التعبدية، في عباداته، بخلاف «الناذر»، الذي يعد النذر ركنا أساسيا في عباداته، مقيدا به، ملزما بتطبيقه، دون إخلال بأي شرط من شروطه، ولذلك من الخطأ القول بأن العابد أو الزاهد نذيرا أو منذورا، ومنه؛ يمكن القول على عادة علماء المنطق، أن التعبيرين بينهما عموم وخصوص، أي أن كل «نذير/ ناذر» «نزيرا»، وليس كل«نزير» «نذيرا/ ناذرا»، حسب مقياس التعبير العربي.

ثالثا: النصارى من «نزيريو» أو «نصيريو»:

والملاحظ أيضا في هذا التعبير العبري» **נזיר** (نزير)»، أنه تعبير مشترك، معنا ولفظا، بين اللغات السامية، مع اختلاف طفيف في بنية الكلمة من ناحية النطق، نظرا لخصوصيات كل لغة على حده، ففي اللغة العربية القديمة ـ كما يذهب إلى ذلك أحمد داود، نجد «نزيريو أو نزيرو»، و«نزير»[1] في اللغة العربية الحديثة، والتي تعني: العابد، الناسك،

(١) من معان جذر (ن ز ر) في القواميس اللغوية: الإلحاح والاستعجال والاحتثاث، حيث جاء في تهذيب اللغة: «النزر: الإلحاح في السؤال، وفي الحديث: أن عمر رضي الله عنه كان يساير النبي ﷺ في سفر فسأله عن شيء فلم يجبه، ثم عاد فسأله فلم يجبه، فقال لنفسه كالمُبَكِّتَ لها: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، نَزَرْتَ برسول الله مرارا لا يجيبك... ومعناه أنك ألححت عليه في المسألة إلحاحا أدبك بسكوته عنك»، وجاء في تاج العروس من جواهير القاموس: «النزر: الإلحاح في السؤال، سواء في العلم أو العطاء، كما فسره الزمخشري. وفي حديث عائشة رضي الله عنها، وما كان لكم أن تنزروا رسول الله ﷺ على الصلاة، أي تلحوا عليها فيها (...) والنزر: الاستعجال والاحتثاث». أنظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، ج١٣، ص: ١٢٩. وتاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ج١٤، ص: ٢٠٤ ـ ٢٠٥... والإلحاح من صفات المؤمن العابد التقي. حيث يلح في طرق أبواب الله، وفي سؤاله، وفي طلبه، وفي التضرع إليه. وقد جاء في الأثر ما يفيد ذلك، وهو: «إن الله يحب الملحين في الدعاء»، فشرط حب الله لعبده ـ حسب هذا الأثر ـ هو الإلحاح في سؤاله وطلبه.. وكأن بهؤلاء القوم (النصارى) في بدايتهم كانوا على دراية بهذا المعنى، بل هو كذلك. إلا أن ومن صفات الإنسان العجلة، قد يستعجل قطف ثمار عبادته، حين يبتعد عن الطريق القويم، في الفهم والتدين،=

الزاهد، المعتزل، المتعفف، الصائم،... إلخ[١].

وفي اللغة الكلدانية ثمة تعبير يعادل هذا التعبير العربي والعبري، ألا وهو: «نصيريو» بالصاد، كما هو بالزاي في اللغة العربية القديمة، والذي يعني، حسب القاموس الكلداني: الشكور، المسيح، الممجد، المرتل، وهي من فعل «نصر»، «نصيريو»، «نصرانو»، الذي يعني: مدح، مجد، شكر، رتل، ناح، بكى، ...[٢] وهي نفس معنى التعبير العربي والعبري، وهي بلا شك سيكون نفس المعنى للتعبير الآرامي.

وهذا التعبير الكلداني «نصيريو»، لا يمكن أن يشتق من **كلمة** «ناصرة» في العربية القديمة والحديثة[٣].

رابعا: النصارى هم: «نزوريوس» «Ναζωραιος» في النص اليوناني:

أيضا وفي اللغة اليونانية، وإذا ما تم حذف اللواحق الإعرابية للتعبير «Nazoraios» «Ναζωραιος» الوارد في النص اليوناني للعهد الجديد، فإننا سنصل إلى صيغة «نزرى»، القريبة من الصيغتين العربية والعبرية، «نزير» و«نزر»، والمشتركتين في الجذر«ن ز ر».

وبما أن هذا التعبير قد انتقل إلى النص اليوناني عن الآرامية، اللغة السامية السائدة في فلسطين، إبان القرون الأولى من الميلاد، وبما أن الحرف اليوناني «زيتا» «ζ» يعادل

= فيستكثر في العبادات طمعا في استعجال الاستجابة، مما يدفع به الأمر إلى الابتداع في الدين. فتراهم إذ ذاك انتقلوا من مرحلة الإلحاح إلى مرحلة الاستعجال، وهذه صفاتان اتصف بها هؤلاء القوم على مر تاريخهم. وإشارة القرآن الكريم إلى تطور معتقد النصارى من التوحيد إلى الوثنية لدليل على صحة هذا الرأي، إذا أخذنا باعتبار أنهم طائفة متعبدة متنسكة في الأصل.

(١) العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل، أحمد داوود، طباعة دار المستقبل دمشق، الطبعة الأولى، كانون التاني ١٩٩١، ص: ٢٤٩.

(٢) نفسه، ص: ٢٤٨.

(٣) نفسه، ص: ٢٤٩.

حرف الصاد في اللغتين العربية، والآرامية، فإن الصيغة النهائية ستكون: «نصرى» و«نصُرى»، المشتركتين في الجذر «ن ص ر».

كما يبين ذلك جمال الدين شرقاوي، إذ كتب ما نصه: «وحسب قواعد النحو الإعرابي اليوناني فإن كل كلمة منهما تكتب على شكلين بعد إضافة لواحق الإعراب، مع ملاحظة أن الحرف اليوناني «زيتا» «ζ» يعادل في اللغة العربية والآرامية حرف الصاد والكلمتان هما:

نزريني «Ναζαρηνε» أو نزرينو «Ναζαρηνου»، نزوريوس «Ναζωραιος» أو نزوريون «Ναζωραιον». وفي الآرامية والعربية ينطقان بعد إحلال حرف زيتا بحرف الصاد هكذا: نصريني «Ναζαρηνε» أو نصرينو «Ναζαρηνου»، نصوريوس «Ναζωραιος» أو نصوريون «Ναζωραιον». فإذا حذفنا اللواحق الإعرابية نصل إلى الصيغتين العربيتين: نصَرى ونصُرى (...) فالجذر اللغوي للكلمتين واحد وهو (ن ص ر)»[1].

وحيث أن هذين التعبيرين وردا في نصوص العهد الجديد صفة لأتباع السيد المسيح، فإن الانتساب اللغوي إليها هو: «النصراني» أو «النصارى»[2].

فتكون بذلك الترجمة العربية الصحيحة لنص «متى» (٢: ٢٣) هي كالآتي: «وجاء إلى مدينة اسمها الناصرة، فسكن فيها، ليتم ما قال الأنبياء: **يدعى نصرانيا**».

خامسا: النصارى من «الأنصر»:

وفي المعاجم العربية، وإذا أبعدنا الآراء التي تقول بأن النصارى اسم قد اشتق من اسم مدينة الناصرة، أو قد اشتق من الأنصار، فإن النصارى قد يكون اشتق من كلمة «الأنصر»

---

(١) يسوع الناصري، جمال الدين الشرقاوي، ص: ٥٠.

(٢) نفسه، ص: ٥١.

التي تعني: الأقلف، كما ذهب إلى ذلك ابن منظور في قاموسه لسان العرب، كما سبق ذكر ذلك، لأن النصارى قلف، لا يختتنون، حيث عطلوا شريعة الختان؛ شريعة إبراهيم عليه السلام، أبو الأنبياء، وملته الحنيفية، هي ملة أغلب العرب فترة ما قبل الإسلام، إذ لم يبعث لهم نبي قط منذ إبراهيم عليه السلام. ودليله في ذلك كما رأينا آنفا الأثر الديني الذي جاء فيه: «لا يؤمنكم أنصر»، أي أقلف.

ويمكن القول أن العرب قديما قد كانوا يطلقون اسم «نصارى» على هؤلاء القوم الذين يمتنعون عن تطبيق والتزام شريعة الختان، ولا تمارسه، وهي شريعة أساسية عند عرب الأحناف، الذين يتدينون بحنيفية نبينا إبراهيم عليه السلام، ومخالفتها تعد وثنية في نظرهم إذ ذاك، ومن ثم صار هذا اللقب يطلقه العرب على أتباع المسيحية الرسولية بشكل عام، لأنهم قد اتبعوا بولس في دعوته إلى عدم جدوى من ضرورة الختان، في الإيمان الجديد، ولذا بقيت الشعوب الوثنية على عهدها رغم اعتناقها المسيحية.

في هذا الصدد يقول فاضل الربيعي، ما نصه «يتضح أن معنى (النصرانية) في ثقافة العرب القديمة، كان يعني الامتناع عن ثقافة العرب القديمة عن ممارسة الختان أو تعطيه كشريعة أو الانقطاع عن ممارسته كطقس ديني قديم، وذلك تجسيدا لتعاليم دينية جديدة اعتنقها جماعة بعينها، تخطت تراثا سابقا من التراث الدينية اليهودية التي شرعت الختان، وانتقلت إلى عصر ديني جديد كانت في طقوسيته قطع القلفة عن العضو التناسلي عند الذكر والأنثى قد انحسرت، أو أصبحت ممارسة دينية زائلة»[1].

ويفهم من الاستدلال الشعري الذي قدمه سيبويه أنه أراد تنبيه اللغويين والمفسرين إلى أن معنى «النصارى» لا يدل على الأنصار، ولا يعني انتسابا إلى مدينة الناصرة، لكون اللغة العربية لا تسعف في ذلك. حيث يتضح من الوصف الذي وصف به الشاعر الناقة

(١) المسيح العربي، النصرانية في الجزيرة العربية والصراع البيزنطي ـ الفارسي، فاضل الربيعي، رياض الريش للكتب والنشر، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٩م، ص: ٢٩.

عندما تبرك من شدة التعب بـ «نصرانة»، أنه يدل على ما يستضمره الإنسان العربي من مواقف دينية تجاه هؤلاء القوم الذي آثروا تعطيل شريعة الختان على الالتزام بها امتثالا للحنيفية الإبراهيمية، مهما بالغوا في العبادة والنسك، من قيام وسجود وصيام وحتى الرهبانية، فإنهم يظلون في نظر العرب مجرد وثنيين، إذ الحنيفية عندهم تقتضي الالتزام بهذا الطقس الديني، بالإضافة إلى اعتقاد التوحيد. فظل هذا المفهوم وهذا التصور حاضرا عند العرب، حتى وبالرغم من كونهم أيضا قد أحدثوا وابتدعوا عقائدا وطقوسا تعبدية في الحنيفية الإبراهيمية. ولم يظل على ما جاء به إبراهيم عليه السلام إلا عدد قليل من العرب، وذلك قبيل البعثة النبوية.

والخلاصة؛ أن النص الأصلي اليوناني ما يزال يحتفظ بالجذر اللغوي لكلمة النصارى، وحتى نطقا تقريبا، التي انتقلت إليه من اللغة الآرامية، القريبة جدا من العربية. هذا الجذر مشترك بين مختلف اللغات السامية، أو اللسان العربي القديم، بين الآرامية والكلدانية والعربية القديمة والعبرية والعربية الحديثة، مع اختلافات طفيفة في بنية الكلمة من حيث النطق، نظرا لخصوصيات كل لغة على حدة. حتى استقر على هذا النطق العربي الذي نزل به القرآن الكريم، فأكده.

وإن الاختلاف في النطق لا يدل بالضرورة على اختلاف في المعنى. وإذا كان ثمة اختلاف في كلمة واحدة، ذات جذر مشترك، بين مختلف فروع لغة الأم الواحدة، فإن ذلك يعود إلى التوظيف الكثيف لمقصد ومعنى من هذه الكلمة، الذي يخضع بدوره إلى النسق الثقافي للمجتمع المستعمل لهذا اللفظ. وهكذا تتوزع كلمات ذات جذر مشترك بين مختلف فروع ولهجات لغة الأم. وقس على ذلك حتى النطق.

فإذا كان لفظ «النصارى» هو «نصيريو» الذي يشتق من «نصرانو» في الكلدانية، والذي يعني: الشكور، الممجد، والمرتل، والحامد. وإذا كان هذا اللفظ أيضا هو «نزيريو» في العربية القديمة، والذي يعني العابد، الزاهد، الناسك، المعتزل، المتعفف.. والذي يشترك

معهم في الجذر (ن ص ر)، والزاي في العربية القديمة، وليس بمعنى «ر» الذي در نفسه، كما ذهب إلى ذلك جمع من الباحثين، فذلك مرده إلى كون هؤلاء القوم الذين يعرفون بالنصارى كانوا مختلفين عن غيرهم من الجماعات البشرية، إذ كانوا يتميزون عنهم بصفات، يكاد ينفردون بها، فهم يتميزون عن الكلدانيين والآراميين وحتى بعض العرب بهذا النمط من العيش، وبهذا السلوك من التدين، الذي يغلب عليه الفرار إلى التنسك، فعرفوا إذا من خلاله عند هؤلاء الشعوب. وإذا كان النصارى عند غالبية العرب، يشتق اسمهم من لفظ «الأنصر» الذي يعني «الأقلف»، أي غير المختون، فلكونهم ـ يعني النصارى ـ قد أضافوا لأنفسهم سمة، تميزهم عن غيرهم، وبالأخص العرب، وهي تعطيلهم لشريعة الختان، والتي تعد ركنا أساسيا في الحنيفية، الملة التي كان يتدين بها العرب قبل البعثة النبوية. وكأن العرب يتهمونهم بالوثنية، بالرغم مما عرفوا به من التعبد والتنسك والرهبنة. وكأن حال العرب يقول كيف لشخص يدعي التفرغ للعبادة والنسك تقربا لله تعالى وفي ذات الوقت يتخلى عن هذه الشريعة، بل العودة إلى الوثنية والطقوس والوثنية.. وهكذا سحبت العرب هذا اللقب على جميع المسيحيين فيما بعد.

وإن الترتيب الذي عليه سور وآيات القرآن الكريم، الذي سبق بيانه، الذي يتضمن التطور والتحول التاريخي، للمسار الديني والاجتماعي للنصارى، يؤكد أن هذه الطائفة في مرحلة ما من تاريخيها، قد تخلت بالكامل عن الميثاق الذي أخذه الله عليهم، فتخلوا عما أمروا به في الإنجيل والتوراة، والتي منها شرعة الختان.

إذن؛ فالنصارى لفظ لا يمكن أن يشتق من اسم المدينة «الناصرة»، لأن التاريخ لا يثبت وجودها قبل القرن الرابع الميلادي، وأن الانتساب إليها ضعيف في اللغة، كما ذهب إلى ذلك ابن سيده. وأن أغلب المؤرخون كانوا يوردون هذا الرأي بصيغة التمريض الذي يفيد الظن، وأن أولائك الذين قطعوا بيقين الانتساب، فإنهم لا محالة قد تأثروا بالرواية المسيحية النصرانية في هذا الباب، ولذلك لعدم وجود دليل آخر تاريخي أو آثري على

وجودها. ولا يمكن أيضا أن يفيد لفظ النصارى معنى الأنصار، أي أنصار النبي عيسى عليه السلام، لكون المخاطب والمقصود بالأنصار هم الحواريون تلامذة النبي عيسى بن مريم عليهما السلام، وليس النصارى، لأنهم ما ظهروا على مسرح التاريخ إلا بعد زمن طويل، انقضى معه زمن الحواريين المسلمين. فيكون «الأقلف» هو اللفظ الذي اشتق منه لفظ النصارى، لكونهم قوم عطلوا شريعة الختان، ليس إلا.

❁ ❁ ❁

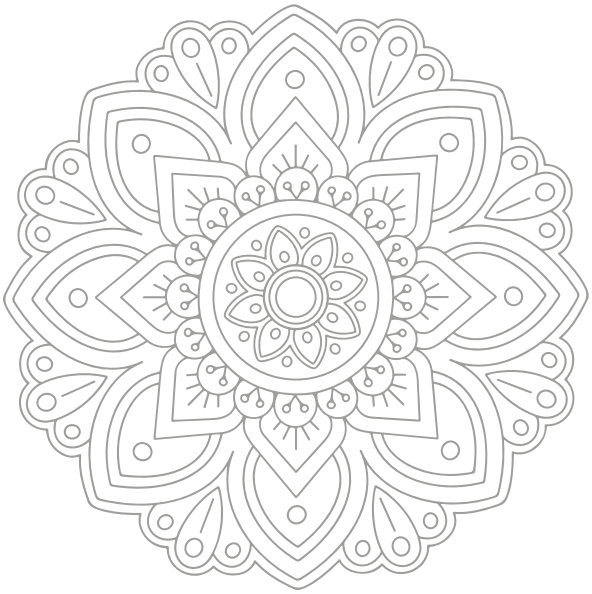

المبحث السابع

هوية النصارى من خلال القرآن

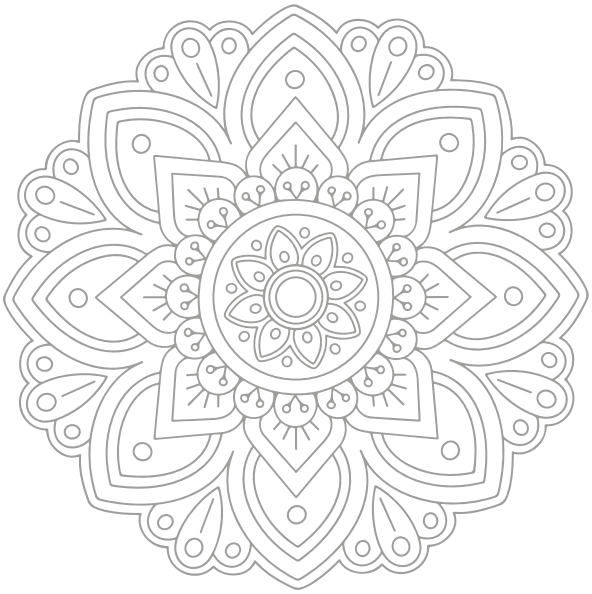

المبحث السابع
هوية النصارى من خلال القرآن

في الحقيقة، لم يكن كاتب الإنجيل الأول «متى» إلا نصرانيا، متشبعا ومتشيعا لأفكار وتدين شيعة النصارى. فقد كان يهدف من تأليف الكتاب إلى إضفاء الصفة النصرانية على النبي عيسى عليه السلام، أو يسوع بالمصطلح النصراني، ودعوته، على أساس أنه عليه الصلاة والسلام كان في الأصل نصرانيا. والطائفة التي ينتمي إليها الكاتب ما هي إلا امتداد لأفكاره ودعوته عليه السلام، بل شيعته البارة. وذلك بحبكة نص وتقديمه للقارئ على أنه نبوءة توراتية بقيام نبي نصراني لخلاص بني إسرائيل مما هم فيه. فالكاتب هنا إذن كان ينظر إلى النبي عيسى عليه السلام من منظار تدين ومعتقد هذه الطائفة التي ينتمي إليها وأفكارها. تماما كما هو شأن بعض طوائف الشيعة (الإسلامية).

والقرآن الكريم ينفي هذه الصفة وهذا الاسم (النصارى) على تلامذة النبي عيسى ابن مريم عليهما السلام، فكيف بالنبي نفسه إذا؟ فقد نقل القرآن الكريم حوارا جرى بين ابن مريم وتلامذته الحواريين، كان مضمونه هو طلب الحواريين منه عليه السلام بأن يشهد بأنهم مسلمون، ولم يطلبوا منه أن يشهد بأنهم نصارى أو أنهم على الملة النصرانية. مما يدل على أن هذا الاسم (النصارى) لم يكن قد ظهر من قبل، ولم يكن ينطبق عليهم هم أنفسهم. بل أنه اسم وعلم لقوم ظهروا بعد زمن النبوة والحواريين، بفترة زمنية طويلة، زعموا أنهم على سنة وهدى النبي عيسى عليه السلام. وهو اسم أو علم قد أطلق عليهم من قبل المجتمعات المغايرة لهم، لكونهم أناس قد عرفوا بالعبادة والزهد والتبتل، كما تميزوا عنهم بترك شريعة الختان. وقد كان هذا الأمر حينما كانوا جماعة، وأصبح هذا

اللقب علما لهم حينما أضحوا أمة.

وهذا مكمن الخلاف بين مضمون نصوص الإنجيل (العهد الجديد) وآيات القرآن الكريم. حيث أن الإنجيل يربط اسم (النصراني/ النصارى) بالنبي عيسى عليه السلام. بينما القرآن الكريم يصحح هذا المفهوم، بل يتعداه إلى مستوى نقده ودحضه. ويؤكد أن عيسى وتلامذته ما كانوا في اعتقادهم وتدينهم إلا مسلمين مستسلمين لأوامر ومجتنبين لنواه الله تعالى، تتجلى في اتباع وتطبيق أحكام الإنجيل الذي بعث به ابن مريم عليها السلام.

ويزيد القرآن الموضوع تفصيلا توضيحا؛ بأن الله تعالى قد مكن النبي عيسى والحواريين والمؤمنين من أسباب القوة، والتي أيدهم الله بها في النصر والظفر على الطائفة الكافرة، التي كانت تسعى إلى القضاء على الدعوة في مهدها بقتل النبي عيسى، فأصبحوا بعد ذلك هم الغالبين والظاهرين على الأديان كلها. أي أنهم انتقلوا من مرحلة البناء إلى مرحلة التمكين في الأرض. وهي مسألة لا تشير إليها الكتب الدينية والتاريخية المسيحية المعتمدة. فقط إنها تؤرخ لنبي مظلوم مقتول وتلامذته مضطهدون. أي أن السيد المسيح وحوارييه (تلامذته) قد عاشوا اضطهادا عقديا واجتماعيا سياسيا، يلاحقهم اليهودي والروماني أينما حلوا وارتحلوا، انتهت بصلب المسيح وقتله المزعوم، وبتتبع آثار التلاميذ والمؤمنين، بالقتل والتشريد والاضطهاد، لمدة ثلاثمائة سنة، حيث ظلوا طيلة هذه المدة في ذعر وخوف وترقب لنشاطهم الدعوي التبشيري، إلى أن تنصر الإمبراطور قسطنطين، وأصبحت المسيحية ديانة معترف بها، بل الديانة الرسمية للإمبراطورية. لكن، في الحقيقة ما كانوا يؤرخون إلا لطائفة النصارى التي عاشت اضطهادا من قبل اليهود والرومانيين. والغريب أن المهتمين بمجال مقارنة الأديان من المسلمين قد غفلوا عن هذه الحقيقة القرآنية، بعد أن غشيتهم الرواية المسيحية عنها.

إن القرآن الكريم كان واضحا في إشاراته التاريخية. فقط كان يكفي أن نضع كل

الآيات التي أخبرت عن النصارى بترتيب وفق الترتيب القرآني للسور، الذي هو ترتيب توقيفي، لا مجال للاجتهاد فيه. وآنذاك سيتضح لنا التطور والتحول التاريخي لهذه الجماعة من حيث الاعتقاد، ومن حيث علاقتها بالموروث العيسوي. فالقرآن الكريم لم يأتي عبثا، خاصة وأنه دقيق في الوصف والتعبير، وبدأ الكلام عن النصارى ضمن الذين آمنوا من الطوائف والجماعات الدينية التي كانت قبل الإسلام، ثم إخباره عنهم بقولهم ببنوة المسيح عليه السلام لله تعالى، كما قالت اليهود عُزَيْرُ ابن الله، وقولهم بألوهية المسيح فيما بعد، تماما كما تقول العقائد الوثنية التي تؤله البشر. وأخيرا إخباره عنهم بأخذهم بعقيدة التثليث، العقيدة التي تقول بأن الله ثالث ثلاثة، وهي عقيدة الأديان الوثنية. فإذا لم يكن هذا هو المقصود، فما المقصود إذن من هذا الترتيب؟

وإننا نلاحظ أن القرآن قد فصّل في الإخبار عن الحواريين/ المسلمين والنصارى. حيث أنهى إخباره عن الحواريين/ المسلمين، بأنهم قد أصبحوا القوة الغالبة والمتحكمة، بعد صراع وجهاد ضد الطائفة الكافرة، التي كانت ترغب بكل ما أتيت من قوة في القضاء الدعوة العيسوية وأتباعها.. وحينما أراد إخبارنا عن النصارى، ابتدأ كلامه عنهم من حيث كونهم طائفة من الذين آمنوا. مما يدل على أنهم (النصارى) ظهروا على مسرح أحداث التاريخ بعد فترة بعثة النبي عيسى عليه السلام، وفترة تلامذته ودولتهم بزمان.

ونفهم من سكوت القرآن الكريم عن مصير ما أسسه النبي عيسى عليه السلام وتلامذته، ثم انتقاله للكلام عن الأتباع ثم النصارى على أساس أنهم جماعة، أن تلك الدولة التي أسسها ابن مريم قد لحقها ما يلحق الدول من ضعف وموت وشتات، بعد حين. لأسباب قد تكون داخلية أو خارجية، أو هما معا. والقرآن لم يشر إلى شيء من هذا القبيل، لأن الهدف من إيراد الأخبار والقصص هو الاتعاظ والاعتبار، بالإضافة إلى الإرشاد والتوجيه. لكن الذي يغلب على الظن أنها قد تعرضت لغزو خارجي، سواء من عدو بعيد، أو قريب؛ أي من داخل المكون الإسرائيلي. ويغلب على الظن أيضا أن هذا

العدوان كان يتسم بطابع ديني محض، بعد أن أيقن بأن التشريع الذي جاء به عيسى بن مريم يهدد مصالحه التي تتأسس على اعتقاداته المخالفة. فكانت النتيجة هو اضطهاد ديني لأتباع المسيح عليه السلام وملاحقتهم، وفرارهم إلى البراري والجبال والكهوف، من أجل دينهم وسلامتهم من البطش، ومن أجل ممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية، بعد أن أضحت مرفوضة من قبل المضطهد.

أما النصارى فقد ارتبط ظهورهم على ما يبدوا بشدة الاضطهاد الديني الذي لحق الأتباع، وانتشارهم خارج رقعة انتمائهم الجغرافي والعرقي، أي أنهم انتشروا في البقاع المختلفة من الأرض، مع التزامهم بالعزلة عن الناس، في جماعات منعزلة، هروبا من الاضطهاد، وبحثا عن مكان مُؤمن يقيمون فيه دينهم، ويمارسوهم طقوسهم بحرية، ويتعبدون على المذهب الذي اتخذوه لأنفسهم. إلا أنهم قد عرفوا تحولا وتغيرا، على مر تاريخهم الاجتماعي، على المستوى الاعتقادي والتدين السلوكي، نتاج عوامل داخلية ذاتية وأخرى تأثيرات حضارية خارجية.

يبدوا أن اختيار طائفة من أتباع المسيح طريق التعبد والتبتل، كان بدافع انهزامهم أمام الاضطهاد الديني الذي يلاحقهم في كل مكان، وإدراكهم بأن لا حول ولا قوة لهم في صد ومواجهة هذا الاضطهاد. فكان إثر ذلك ـ بالإضافة إلى عامل انتظار نبي آخر الزمن أو المخلص ـ اختيار الانزواء والانعزال من أجل العبادة حتى تتغير الظروف.

ذلك أن المجتمعات التي طالما تعاني من الاضطهاد، وبالأخص الديني، دائما ما تعرف باختيار العزلة عن المجتمعات، في أفق انتظار الفرج. وحتى يتسنى لها هامشا من الحرية لممارسة طقوسها الدينية، حتى وإن أدى بها ذلك الطريق إلى العزلة الشاملة، لا يهم. ويزيد من حدة هذه العزلة، الشعور بالهزيمة الحضارية إلى درجة ينعدم معها القدرة على التفكير في المواجهة وإعادة اعتبار الذات. فيكون السبيل أمام هذه الجماعات هو التصوف والانزواء والتقهقر في انتظار المنقذ والمخلص. ونقصد بالتصوف هنا؛ التصوف

السلبي، الذي يجعل الإنسان يقبل الهزيمة كونها قدرا محتوما، ولا يتجرأ على التفكير بأخذ أسباب النهوض مرة أخرى، بل يؤمن ـ وهذا أمر خطير ـ بأن لا نجاة له إلا بمخلص منتظر، يظهر في الأفق. وهذا السلوك سمة غالبية المجتمعات والجماعات البشرية التي يتسرب إلى وعيها الجماعي هذا النوع من التفكير الانهزامي. نجد مثل هذه الأفكار عند بعض الطوائف الإسلامية التي ترى بأن لا سبيل عن قيام دولة العدل والشورى إلا بالمهدي المنتظر، ونفس الشيء عند بعض الطوائف اليهودية والمسيحية التي تنظر قدوم المسيح لقيام دولة العدل، إلا أنهم وفي سبيل تحقيق ذلك يلجؤون إما إلى التعبد والتبتل، وإما إلى الإفساد في الأرض، للتعجيل بخروجه.

والنصارى في بداية أمرهم لم يكونوا إلا جماعة متصوفة، أو جماعة من المتصوفين، أخذوا على عاتقهم الحفاظ على ما بقي من تعاليم التوراة والإنجيل الحقيقي، في تدينهم، وفي تعليمها للأجيال اللاحقة، وهي مهمة صعبة ليست بالأمر الهين، خاصة في ظروف يسودها الاضطهاد على أساس الدين والعقيدة. لكن ولكونهم جماعة بشرية صرفتها همتها إلى العبادة أكثر من طلب العلم، لانعزالهم، ونتيجة للضعف الذي يسري في روعهم، لم يكن بمقدورهم أن يجابهوا الاضطهاد الوثني، ويصبروا على ظلمه. أفترض؛ أنهم ولكي يضمنوا استمرار دعوتهم اهتدوا إلى حيلة تبقيهم على الحياة، وتجعل نسلهم لا ينقطع في خضم هذا العالم الوثني، حتى يخرج نبي آخر الزمن، وهي أن يعطلوا شريعة الختان، التي بها كانوا يتميزون عن الوثنين، لأنهم ـ ربما ـ بسببها كانوا يتعرضوا للتفتيش، كما يمتحنون في عقائدهم ودينهم. ولذا أطلق العرب عليهم هذا اللقب لأنهم قوم قد امتنعوا عن ممارسة شريعة الختان، شريعة النبي إبراهيم عليه السلام، فأصبحوا بذاك في نظرهم وثنيين، وإن كانوا في الظاهر أهل العبادة.

فكان تعطيلهم لهذه الشريعة، سببا في تخليهم عن الميثاق الذي أخذه الله عليهم. والميثاق هنا؛ إما ميثاق العهد الإبراهيمي، الذي هو التوحيد والتزام الملة في الشؤون

العامة والختان، وإما التزام أحكام الإنجيل الذي بعث به عيسى عليه السلام والذي يتضمن أيضا أحكام الملة الإبراهيمية، التي أهمها الختان. إذ أن الختان لم يكن مشروعا إلا مع بعثة النبي إبراهيم عليه السلام. فهذا التغيير قد فتح باب الإحداث والابتداع في الدين والعقائد. وقد يكون من باب التأويل والاضطرار في البداية، إلى أنه صار سلوكا واعتقادا راسخا كأنه أصل من أصول الدين مع الأجيال اللاحقة.

إن الابتداع الذي أحدثوه في العقيدة ابتداء بعد أن كانوا على التوحيد الخالص هو قولهم ببنوة السيد المسيح لله تعالى، أي أن عيسى ابن الله، كما قالت اليهود عزير ابن الله. ولعل السبب في قولهم بهذا الاعتقاد يرجع إلى كونهم أهل التعبد والتنسك، يغلب على طابعهم العام التبتل والتعبد، ولم يكونوا يهتمون بالعلم بقدر اهتمامهم بالعبادة، ذلك أن التعبد من غير علم صحيح أو منهج قويم يؤدي حتما إلى الضلال، سواء كان ضلالا عقديا أو ضلالا تدينيا سلوكيا. لأن الضلال العقدي غالبا ما يأتي من إعجاب المرء بنفسه وبكثرة عباداته من صلاة وصوم وقيام ونذر الحياة كلها للخالق، ولما يقارنها بغيره من عامة الناس، وخاصة إن كانوا وثنيين، يرى نفسه من حيث قربه من الله من أهل الصفوة بل من أحباء الله، وخاصة إذا كان مضطهدا دينيا. وأظن أن النصارى لم يكونوا بعيدين عن هذا التفكير، خاصة وإذا استحضرنا واقعهم الوثني، ولذا ومن منطلق معيار ومقياس التعبد، نظروا إلى المسيح عليه السلام بالإضافة إلى ميلاده المعجز، ومن شده إعجابهم وتعلقهم به وغلوهم فيه، ولكونه المثل الأعلى بالنسبة إليهم، أنه ابنا لله تعالى. وهنا يحضرني حديث النبي ﷺ، جاء فيه وهو ينهى الصحابة عن إطرائه ومدحه، فقال عليه الصلاة والسلام: «لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ»[1]. وانظر إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام قد خص بكلامه النصارى وليس

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج ٤، ص: ١٦٧، رقم الحديث: ٣٤٤٥.

الحواريون المسلمون. حيث يفيد هذا التخصيص أن صفة الإطراء والغلو[1] كانت سمة النصارى في علاقتهم بالمسيح عليه السلام، حتى بلغ بهم الأمر إلى القول بالبنوة لله تعالى. وبذاك فتحوا لأنفسهم باب الجدل اللاهوتي حول مسألة وطبيعة السيد المسيح في علاقته مع الله تعالى، إلى أن قالوا بألوهية المسيح وبعقيدة التثليث، وافترقوا فرقا.

والضلال على مستوى العبادة والسلوك؛ يتجلى بشكل جلي في الابتداع في العبادة واستسهاله وما يترتب على ذلك من آثار على مستوى السلوك الفردي والجماعي. حيث ابتدعوا في الدين عبادة زائدة راموا من خلالها إلى الزيادة في التقوى والتقرب إلى الله، ظنا منهم أن الفترة العويصة التي يمرون منها تتطلب الاجتهاد والإجهاد في التعبد والتنسك والتبتل الزهد في الدنيا، حتى يستجيب لهم الله إما لرفع الظلم عنهم، وإما لتعجيل بظهور نبي آخر الزمن، دون الأخذ بالأسباب المادية، لمواجهة ما يعانونه. فدفع بهم التشدد إلى ابتداع عبادة الرهبانة، وعدها أصلا من أصول العبادات، بخلاف الأسلاف من الأتباع، الذين ترهبوا اضطرارا لواقع الاضطهاد. إلا أنهم، وبال[illegible]قصدهم زيادة التقوى من وراء هذه العبادة، ما رعوا هذه العبادة حق رعايتها، فوقعوا في المحظور، وتستروا عنه، وتحايلوا على الشرع، واتخذوا له اسما آخر، وانتشر بينهم الفسق، وفش[illegible]هم الأخلاق الفاسدة، وأثر على سلوكهم، وفي معاملتهم مع العامة، إلى أن أكلوا أموال الناس بالباطل. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تصرفوا في ما بقي معهم من الإنجيل بتبديل الأحكام وتغييرها بما يتماشى مع أهوائهم، وهكذا إلى أن فقدوا الصلة بالمنبع الأصلي مع مرور الزمن.

---

(١) ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ١٧٠]. ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٩].

لم يطرأ هذا التغيير على المستوى الاعتقادي والسلوكي، وتحولهم من عقيدة التوحيد إلى عقائد الوثنية، ما لم تكن لهم القابلية لتقبل هذه الأفكار الواردة عليهم من جيرانهم الوثنيين، وما لم يكونوا أرضية خصبة لتقبل مثل هذه الأفكار. إن التشدد في الدين والرغبة في النجاة بأي شكل، وإن الإطراء الزائد غير المنضبط والغلو والإعجاب بالنبي عيسى ابن مريم عليهما السلام، سهلت للأفكار الوثنية التي تحوم حولهم أن تتسرب إليهم. ونظرا للشعور على مستوى الوعي الجماعي بالهزيمة الحضارية والنقص أدى بهم إلى تقبل هذه الأفكار الوثنية التي تسربت إليهم وموائمتها مع تصورهم الديني. يعني أن القابلية للشرك كانت حاضرة بقوة، لأنهم ما كانوا على علم يمكنهم من مواجهة الشبهات التي تثار ضدهم، أو لضبط ما يعتقدونه وفق ما جاء به المسيح عليه السلام، لأنهم قد زهدوا في العلم وبالغوا في التصوف والغلو العقدي.

ولم يكن هذا الانتقال على المستوى العقدي من التوحيد إلى التثليث، قد حدث دفعة واحدة، في زمن واحد في مكان واحد، بل العكس، قد حدث على فترات، تغيرت معها العقليات، وانتقل النصارى إلى وضعية كان الجدل اللاهوتي هو طابعهم العام، أبعدهم شيئا ما عن التعبد والتبتل والتنسك، وانشغلوا بمقارعة الأفكار اللاهوتية حول طبيعة المسيح. الذي كان ابتداؤه منذ قولهم ببنوة المسيح لله تعالى، ومنذئذ انقسموا إلى جماعات متنافرة متحاربة، متجادلة فيما بينها، كل جماعة تأخذ من محيطها الوثني بما تدافع عن نفسها، فيما تعتقده، إلى أن قالوا في الأخير بالتثليث كما قالت بذلك الأديان الوثنية السابقة عن زمن البعثة العيسوية، فأصبحت عقائد النصارى متعددة، بين من يقول ببنوة المسيح لله، وبين ومن يؤله المسيح وأمه مريم، وبين من يقول إن الله ثالث ثلاثة؛ وتلك هي تجليات الوثنية حيث التعددية الإلهية. وهذا لا يعني أن التوحيد قد اندثر، وأنه لم يعد هناك من أتباع النبي عيسى عليه من يؤمن به نبيا ورسولا وبالله ربا.

ولقد أضحى اسم النصارى عند عرب ما قبل البعثة المحمدية علما لجماعات

تمردت عن الحنيفية؛ الملة الإبراهيمية، التي كان يدين بها العرب، وخاصة بنو إسماعيل، إذ كانت شريعة الختان أهم ما جاءت به هذه الملة، وتعطيلها يعني الامتناع عن الامتثال والرجوع إلى الوثنية. ولم تكن الحنيفية جزءً من النصرانية، أو الأحناف فرقة من فرق النصرانية المتراجعة والمنزوية، والتي لم تقبل بالأفكار والرؤى والتصورات اللاهوتية والفلسفية التي وفدت من خارج الجزيرة العربية، كما ذهب إلى ذلك فاضل الربيعي[1]. حيث أن الأحناف؛ ما كانوا في حقيقتهم إلا أولائك الذين ما زالوا على عهد إبراهيم عليه السلام وملته، وإنما قد اشتهروا لقلتهم في زمن طغى الشرك على العرب، قبيل البعثة النبوية المحمدية. والقرآن الكريم ينفي ما ذهب إليه فاضل الربيعي، حيث جعل سبيل الهداية في اتباع الملة الإبراهيمية الحنيفية، في رده على دعوى اليهود والنصارى، في هذه الآية الكريمة: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٤]. وظل هذا الاسم عند العرب لقبا لأتباع المسيحية الرسولية، بعد أن دخل الوثنيون في هذا الدين الجديد.

وخلاصة القول في هذا الموضوع أن القرآن الكريم قد قدم لنا إشارات تاريخية كرونولوجية للتطور العقدي للنصارى؛ من التوحيد الخالص إلى وثنية ذات التعددية الإلهية، تجلت مظاهرها في القول بالتثليث، حيث ثلاثة من جوهر واحد، والله ثالثهم. ووضح الأسباب الدافعة لتقبل مثل هذه الأفكار الوثنية، التي تنافي التوحيد، وهي الغلو والتشدد والزهد في طلب العلم. الغلو من حيث الاعتقاد، والتشدد من حيث العبادة، والزهد في طلب العلم من حيث العلم الديني والمنهج. فأضحوا يعبدون الله عن ضلالة، فأضلوا أنفسهم، وضلوا من استن بسنتهم. بل أصبحت ملتهم الجديدة ديانة وثنية الجوهر، وإن انتسبت إلى نبي من أنبياء الله.

❁ ❁ ❁

(١) أنظر: المسيح العربي، فاضل الربيعي، ص: ٢٧.

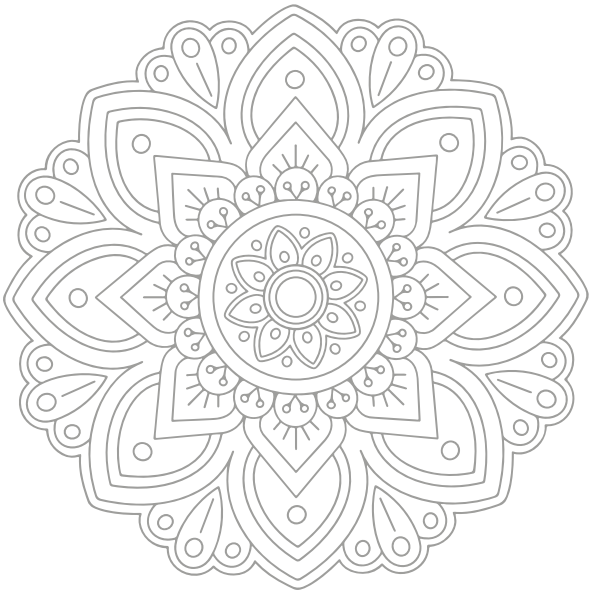

خاتمة البحث

وبعد:

فإن هذا العمل قد انتهى إلى جملة من الخلاصات والنتائج، والتي نرجو أن تكون دافعا لبحث آخر، يكون أكثر تفصيلا واستقصاء. وهذه دعوة ـ بالمناسبة ـ للباحثين والدارسين المتخصصين في مجال علم الأديان (المقارنة) أن يلوا هذا الموضوع، وموضوع بني إسرائيل واليهود والصابئين، اهتماما علميا، في ضوء القرآن الكريم والحقول المعرفية الأخرى، من قبيل علم التأثيل والتاريخ والجغرافيا والحفريات...

والنتائج هي كالتالي:

أولا: ما يزال المسيحيون العرب ينفرون من اسم «النصارى»، ويعدونه مسبة وشتما في حقهم من قبل المسلمين وكتابهم القرآن الكريم. ويعتبرون أن الناصريين هم أولئك الذين آمنوا بالمسيح عيسى بن مريم عليهما السلام من اليهود، مع احتفاظهم على تطبيق أحكام شريعة الناموس، أي التوراة.

ثانيا: يأخذ غالبية الباحثين المسلمين مفهوم النصارى من تعريف المسيحيين أنفسهم للناصريين، الذين يرون أن النصارى أو الناصريين هم اليهود الذين تنصروا، وكانوا ينحدرون من مدينة الناصرة، فسموا بهذا الاسم نسبة إليها.

ثالثا: اختلفت آراء المفسرين المسلمين حول سبب تسمية هؤلاء القوم بالنصارى، إما لنصرتهم للنبي عيسى عليه السلام، أو لنصرتهم فما بينهم، أو انتسابا إلى مدينة الناصرة التي ينتمي إليها السيد المسيح عليه السلام، أو لأنهم لا يدينون بالحنيفية.

رابعا: اسم «النصارى» عند أصحاب القواميس والمعاجم من مادة (ن ص ر)، وهو جمع نصران، والمستعمل نصراني بياء النسب. وقد أخذ هذا الاسم عندهم إما من مدينة الناصرة، أو من اسم صنم اسمه «نَصَّرُ»، أو من الأنصار، أو من «الأنصر» أي الأقلف؛ غير المختون.

خامسا: اختلفت آراء المفسرين المسيحيين كذلك حول تفسير معنى (النصارى/ الناصريين)، أثناء تفسيرهم لنبوءة إنجيل «متى»، بين من يرى نسبة إلى مدينة الناصرة، أو بمعنى القدوس والعابد الذي ينذر نفسه وحياته لله، أو بمعنى المتواضع والمحتقر، لأن الناصرة كانت موضع احتقار وازدراء.

سادسا: لقد وردت صيغة «ناصريا» مرة واحدة في إنجيل متى، ووردت صيغة «الناصري» إحدى عشر مرة في الأناجيل الأربعة، ووردت كلمة «النصارى» في سفر أعمال الرسل مرة واحدة، وفي بعض الترجمات العربية للعهد الجديد ترجمت نفس الكلمة إلى «الناصريين». وفي الترجمات الإنجليزية ترجمت «ناصريا» إلى «**Nazarene**» والنصارى إلى «**Nazarenes**»؛ فالثانية جمع للأولى، وترجمت عبارة «يسوع الناصري» إلى «**Jesus of Nazareth**» في الترجمات الإنجليزية للكتاب المقدس، بينما الترجمات الإنجليزية القياسية والمحققة صححت العبارة إلى «**Jesus of Nazarene**»، بعد ان انتبهت إلى خطأ التعبير الأول الدال على الانتساب.

سابعا: إن الناصرة التي ينتسب إليها النصارى، حسب رأي من المفسرين المسلمين والمسيحيين، لا وجود لها في التاريخ زمن بعثة عيسى عليه السلام حسب المعطيات التاريخية المسيحية، ولم تذكرها الكتب الدينية والتاريخية اليهودية، ولم يشر إليها المؤرخون، وحتى الحفريات التي أجريت بالمنطقة تعزز هذا المعطى. وإن المدينة التي ذكرتها أسفار العهد الجديد تختلف جغرافيا عن الناصرة المشهورة، فلا يمكن إذن عد هذه المدينة موقع أحداث مدينة الإنجيل.

ثامنا: يدل اسم «النصارى» حسب سفر أعمال الرسل، على شيعة أو طائفة دينية، تنتمي إلى بني إسرائيل عرقيا، وتختلف مع اليهود عقائديا، إذ أنها لم تكن على وفاق معهم ألبتة، لأنها كانت تنفرد عنهم بتطبيق شريعة نبي الله موسى (عليه السلام) وبإيمانها بمسيحية السيد المسيح (عليه السلام)، مما يدل على أن لهذه الجماعة مشروعا وتصورا دينيا مخ لعامة اليهود يومذاك، وهو السبب نفسه الذي جعل أحبار اليهود يصنفونها دعوة بدعية أو مهرطقة.

تاسعا: ورد اسم «النصارى» في القرآن الكريم أربعة عشر مرة في القرآن الكريم، بالإضافة آيات يفهم من سياقها أنها تقصد «النصارى» بأنفسهم. وهم حسب سياق القرآن الكريم ليسوا بالحواريين؛ تلامذة المسيح عليه السلام، لتأخرهم الزمني عن فترة البعثة العيسوية فترة التلاميذ الـ ون، حيث ارتبط ظهورهم باشتداد الاضطهاد الديني على أتباع عيسى عليه السلام. وهم جماعة من الناس ابتداء وأمة انتهاء ذات ملة وديانة تحمل اسمهم قبل أن تتحول إلى المسيحية. انتقل أغلبهم من حيث الاعتقاد من التوحيد إلى الوثنية؛ المؤلهة للمسيح والقائلة بالتثليث، لأسباب ذاتية وأخرى خارجية، تكمن الأولى في الغلو والزهد في طلب العلم والثانية في قوة الحضارات الوثنية وفلسفاتها في اقتحام عمق هذه الجماعات. فكان تطورهم العقدي كما قدمه القرآن على الشكل الآتي: التوحيد، القول ببنوة المسيح لله، تأليه المسيح، القول بعقيدة التثليث.

عاشرا: الذي نميل إليه هو أن لفظ «النصارى» لا يمكن أن يشتق من اسم مدينة «الناصرة»؛ لأن التاريخ لا يثبت وجودها إبان القرون الأولى من التقويم الغريغوري، ولأن الانتساب إليها ضعيف حسب اللسان العربي، وأن الرواية الإسلامية في هذا الشأن لا تعد سوى أفكار وآراء نصرانية تسربت إلى الفكر الإسلامي. وأيضا لا يمكن أن يشتق لفظ «النصارى» من الأنصار، لأن المقصود من الأنصار في القرآن الكريم هم الحواريون تلامذة عيسى بن مريم، والنصارى ليسوا هم الحواريين لتأخرهم الزمني والتاريخي

عنهم. إذن وفي هذه الحالة يكون «الأنصر» الذي يعني الأقلف هو التعبير الذي اشتق منه لفظ «النصارى»، لأنهم عرفوا عند العرب بتعطيل شريعة الختان.

حادي عشر: إن المنطقة التي اسمها «ناصرة» لا يستبعد من وجودها جغرافيا، إلا أن المترجم العربي للإنجيل قد وقع في خطأ ربط بين اسم الناصرة الحديثة و«**Nazareth**» الإنجيل من جهة، و«**Nazarene**» الذي ورد في نبوءة إنجيل متى من جهة، وهو في ذات الوقت يستحضر هذه المنطقة، حسب الموروث الشفهي المتداول. لأن الناصرة في العربية، وحسب قاموس لسان العرب، من «النواصر التي تعني مسايل المياه، وسميت بالناصرة لأنها تجيء من مكان بعيد حتى تقع في مجتمع الماء حيث انتهت (...) والناصرة ما جاء من مكان بعيد إلى الوادي فنصر السيول. وفي الحديث «إن هذه السحابة تنصر أرض بني كعب[١]، أي تمطرهم»[٢]، مما يدل على أنها (الناصرة) منطقة صحراوية أو شبه صحراوية ذات بحيرة مائية، تنتهي إليها السيول ومجاري المياه الموسمية، بفعل الأمطار الموسمية. فهل هذا يعني أن «المدينة الإنجيلية» كانت بالفعل لكن خارج مدار فلسطين، وهل يعني هذا أيضا أن النصارى الأوائل كانوا بهذه المنطقة، وتأثرت رواياتهم عن المسيح بالمجال الجغرافي والمحيط الثقافي الذي يعيشون فيه، أم أن المسيح عليه السلام كان ينتمي إلى منطقة خصائصها الجغرافية شبه صحراوية وتتضمن بحيرة مائية بفعل أمطار موسمية؟؟

هذا والله تعالى هو أعلى وأعلم، والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ابن الأثير)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ـ محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت، د. ط، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ج٥، ص: ٦٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج٥، ص: ٢١١ ـ ٢١٢.

لائحة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الكتب المقدسة:

* النسخة العربية المشتركة من اللغة الأصلية، تصدرها دور الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، الطبعة الأولى ١٩٩٧، جميع الحقوق محفوظة للناشرين، جمعية الكتاب المقدس في لبنان.

* الكتاب المقدس، الترجمة الرهبانية اليسوعية، بولس باسيم، دار المشرق ش. م. م ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٩٤.

* العهد الجديد، ترجمة بين السطور (يوناني ـ عربي)، بولس الفغالي وأنطوان عوكر ونعمة الله الخوري ويوسف فخري، الجامعة الأنطوانية، كلية العلوم البيبلية والمسكونية والأديان، مؤسسة دكاش للطباعة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

* العهد القديم، ترجمة بين السطور، عبري عربي، الأبوان بولس الفغالي وأنطوان عوكر، الجامعة الأنطوانية، مؤسسة دكاش للطبع، المكتبة البولسية للتوزيع، لبنان، الطبعةالأولى، ٢٠٠٧م.

*The Holy Bible-King James Version, containing the old and new testament. (University Place, Washington).

*[תורה, נביאים,כתובים] Massoretic text. According to JACCOB Ben CHAYIM and C. D GINSBURG. First Edition (draft), by: (Bibles. org. uk, London).

* الاشتقاق اللغوي وجوانب متعلقة به لدى اللغويين والنحويين العرب القدامى، مراد موسى، المجلة (مجمع اللغة العربية حيفا)، عدد ٤، ٢٠١٣م.

* الإشكالات الجغرافية لمولد المسيح ونشأته بين الكتاب المقدس والدراسات العلمية، آسيا شكيرب، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، العدد ٢٨، أبريل ٢٠١١م.

* الأصول الابستيمولوجية والأنطولوجية لمصطلحي التأثيل والترسيس في اللغة، سليم عواريب، مجلة مقاليد العدد ٠٩، ديسمبر ٢٠١٥م.

* أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، الدكتور داود علي الفاضيلي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط ـ المملكة المغربية، تاريخ الإيداع القانوني ١٩٨٦م.

* أصول تسمية النصرانية والمسيحية في ضوء القرآن الكتاب المقدس، عمر الحافي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد السادس، العدد ١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

* تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د ط، د ت.

* التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسر الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن عاشور، الناشر: دار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

* التفسير الحديث للكتاب المقدس، العهد الجديد إنجيل متى، ر. ت فرانس، ترجمة: أديبه شكري، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

* تفسير العهد الجديد، وليم باركلي، ترجمة: القس فايز فارس، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.

* تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الناشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٩٩٠م.

* تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة لنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

* التفسير المسيحي القديم للكتاب المقدس، الإنجيل كما دونه متى، نقله من اللغات الأصلية: الأب ميشال نجم (مع فريق من المترجمين والمحررين)، منشورات جامعة البلمند، مطبعة ليزار، د ط، ٢٠٠٤م.

* تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب،

دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

* الجامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

* الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.

* جمهرة اللغة، أبو بكر بن محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٧م.

* دائرة المعارف الكتابية، وليم وهبه بباوي، دار الثقافة، القاهرة مصر، د. ط، ٢٠٠٥م.

* دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية، د سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، الرياض السعودية، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

* دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، محمد علي البار، دار القلم، دمشق سورية، د. ط، تاريخ كتابة المقدمة ٣١ أكتوبر، ٢٠٠٥.

* دراسة في إنجيل لوقا، علي زلماط، دار الصفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق ـ سورية، دبي ـ الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

* صحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل، أحمد داوود، طباعة دار المستقبل دمشق، الطبعة الأولى، كانون الثاني ١٩٩١م.

* العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل، حسن الباش، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق سورية، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

* فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ج١.

* الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، نهاد خياطة، دار الأوائل، د. ط، د. ت.

* قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة، دار الثقافة، القاهرة، ط١١، ١٩٩٧م.

* قاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

* قاموس عبري ـ عربي، يحزقيل قوجمان، مكتبة المحتسب (عمان الأردن)، دار الجيل (بيروت) د. ط، د. ت.

* قضايا جديدة في المسيحية والإسلام، جمال الدين الشرقاوي، مركز التنوير الإسلامي، د. ط، د. ت.

* الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

* لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ.

* محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.

* مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ـ الدار النموذجية، بيروت. صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

* المسيح العربي، النصرانية في الجزيرة العربية والصراع البيزنطي ـ الفارسي، فاضل الربيعي، رياض الريش للكتب والنشر، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٩م.

* المسيح ولد في لبنان، الأب الماروني الدكتور يوسف يمين، مطبعة القارح، زغرتا ـ لبنان، ١٩٩٩م.

* المسيحية النصرانية: دراسة تحليلية، ساجد مير، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، د. ط، تاريخ كتابة كلمة الناشر ١٣ماي ٢٠٠٢م.

* المسيحية والإسلام والاستشراق، محمد فارق الزين، دار الفكر المعاصر ـ بيروت، دار الفكر ـ دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

* المعاجم العربية قديما وحديثا، للدكتور زين كامل الخويسكى، دار المعرفية الجامعية، للطبع والنشر والتوزيع، د. ط، ٢٠٠٧م.

* معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر وفريق بحث، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

* مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ.

* موسوعة آباء الكنيسة، إعداد عادل فرج عبد المسيح، دار الثقافة، د. ط، د. ت.

* الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، سهيل زكار، دمشق، د. ط، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

* النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ابن الأثير)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ـ محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت، د. ط، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

* يسوع الناصري... مسيح بولس دفاع عن المسيح ابن مريم عليه السلام من واقع الأصول اليونانية، جمال الدين شرقاوي، مكتبة النافذة، ط١، ٢٠٠٦م.

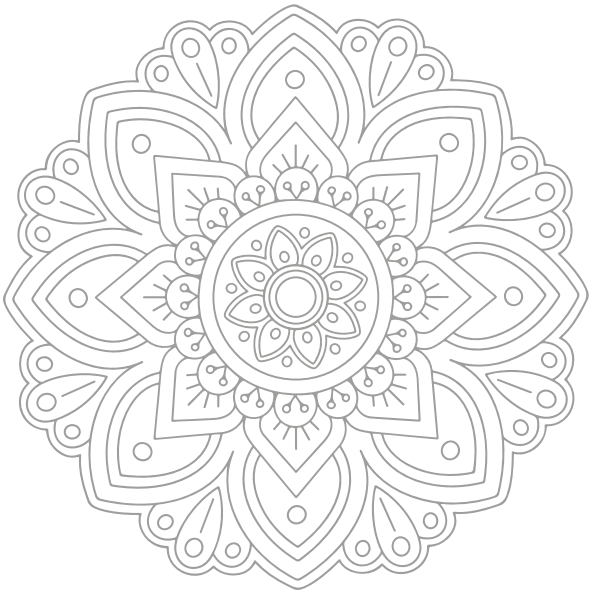

فهرس المحتوى

المحتوى	الصفحة
مقدمة	٥
مبحث تمهيدي: بعض تعريفات لـ «النصارى»	١٣
المبحث الأول: «النصارى» في القرآن الكريم	١٩
المبحث الثاني: «النصارى» عند مفسري القرآن	٣٥
المبحث الثالث: «النصارى» عند اللغويين والمعجميين	٤٣
المبحث الرابع: «النصارى» أو «الناصريين» في العهد الجديد	٥١
المبحث الخامس: «النصارى» (الناصريين) من الناصرة	٦٣
المبحث السادس: الأصل الاشتقاقي لـ«النصارى»	٧٣
المبحث السابع: هوية النصارى من خلال القرآن	٨٩
خاتمة البحث	٩٩
لائحة المصادر والمراجع	١٠٣
فهرس المحتوى	١٠٩